الجزء الأول

الخرائط الذهنية لسيناريوهات
الإسلام والغرب: ما قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١
وبعدها من منظور لغويات التفاوض
وقراءة في عقل أزمة «الحرب الجديدة» الممتدة

الجزء الأول

الخرائط الذهنية لسيناريوهات الإسلام والغرب: ما قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١ وبعدها من منظور لغويات التفاوض وقراءة فى عقل أزمة الحرب الجديدة الممتدة

إن هذا البحث لا يعتبر فقط بمثابة حلقة أخرى من حلقات جهود كاتب السطور البحثية فى موضوعه العلمى ، إنما هو كذلك بمثابة محاولة لطرح أجندة تفاوض محددة مبنية على التحليل العلمى ومشاهدات على الساحة الدولية سواء فى سياق ما قبل أزمة سبتمبر ٢٠٠١ أو ما سمى بأزمة «الحرب الجديدة» أو بعدها ، وذلك بهدف المزيد من بلورة توجهات جماعية مطلوبة لشغر ما أراه من مساحات تفاوض تكاد تكون مهجورة على الساحة الدولية من التواجد البحثى العربى الجماعى المنظم والفعال لتقديم المنظور العربى الإسلامى للمحاور المتعددة التى تعنى بها الساحات الدولية التى تربط بين الدراسات المستقبلية وبين صناعة القرارات الخاصة بقضايا الأجندة الدولية على صعيد المحاور المختلفة من صحة ، وبيئة وتعليم وسكان وصراع وعلم وتكنولوجيا إلى آخره . واستطيع الزعم بأن ترك هذه الساحات الدولية ولسنوات عديدة شاغرة ومهجورة من التواجد البحثى العربى الإسلامى الإيجابى للمشاركة الفعالة فى صياغة الأجندة الدولية بتأثير وبفاعلية لضمان الحفاظ على حقوقنا المشروعة على كافة الأصعدة كان بمثابة اعتذار وانسحاب مؤسف يؤكد على مقولة «بأنه إذا لم يفكر أبناء المنطقة ويتحركوا لها بفاعلية ، فكر لها وتحرك الآخرون» ... ولاشك أننا بحاجة إلى تفعيل ما اسميه «بالقوة البحثية العربية» لمزيد من مشاركاتها فى الزود عن قضايا هذه الأمة العريقة والسعى الدؤوب لرفعة شأنها ، خاصة فى ظل الظروف الصعبة والمركبة التى فرضتها تداعيات أحداث سبتمبر ٢٠٠١ حيث زادت أهمية السعى إلى التدخل الإيجابى لصياغة المستقبل بأسلوب فاعل وعلمى ، يعتمد على ما هو ممكن وما يمكن وإن يتحقق فى ظل ظروف وحقائق الأوضاع الصعبة كبداية ضرورية للنهوض منها ، والخروج إلى آفاق أفضل .

وإذا كان للباحث تصور لخريطة ذهنية – من منظور لغويات التفاوض – يوضح من خلالها وضعية تفاعل سيناريوهات الإسلام والغرب كما تم طرحها فى الأدبيات الدولية والتفاعلات الإعلامية على مدى السنوات السابقة – حيث تفاعل الباحث مع جزئيات كثيرة لهذه التفاعلات فى أبحاث ومقالات سابقة[1] ، فإنه وبعد أحداث الحادى عشرة من سبتمبر وما تبعها من تبعات أصبح لا يمكن النظر إلى سيناريوهات

الإسلام والغرب إلا من خلال خريطتين متكاملتين ، الأولى للوضعية التفاعلية لسيناريوهات الإسلام والغرب قبل احداث الحادى عشر من سبتمبر والثانية للوضعية التفاعلية المستجدة لهذه السيناريوهات (The New Cognitive Map) التى أصبحت فى عمق الأزمة الدولية المفصلية الأولى فى هذا القرن فى تاريخ العلاقات الدولية ، والتى قد يُعاد من خلال إدارة توابعها صياغة النظام الدولى الراهن إلى معطيات الأمور وتعقيداتها على عدة أصعدة والسؤال المحورى الآن هو ماذا عن المطلوب انجازه على المدى الآنى والسريع مع الايقاع المتغير للأزمة الممتدة عربياً وإسلامياً وماذا عن إدارتها لصالح الأجندة الوطنية للأمة العربية الإسلامية على المدى الممتد بحيث يمكننا استباق ما قد يمكن استباقه من خلال التصورات الواضحة وآلية ديناميكية لمشروع عربى وإسلامى لإدارة النوازل/ الازمات واحتوائها من خلال الفرق العلمية القادرة على الإسهام الحقيقى فى إدارة تفاعلات الأزمة ، خاصة على صعيد دبلوماسية المسار الثانى التى يتم فى إطارها ادارة أكثر تفاعلات الأزمات عادة ؟

أسئلة الدراسة :

١- ما المقصود أولاً بمنظور لغويات التفاوض فى سياق هذه الدراسة ؟

٢- ماذا عن الخريطة الذهنية لوضعية سيناريوهات الإسلام والغرب من منظور لغويات التفاوض قبل أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ، وما الذى استجد على هذه الخريطة الذهنية التفاعلية بعد تلك الأحداث ؟

٣- ماذا عن قراءة ضرورية فى «عقل الأزمة» ؟ أو بمعنى لآخر ماذا عن أسلوب تفكير أطراف الأزمة فى إداراتها وكيف انعكس ذلك فى الاستراتيجية التفاعلية وأنماط الحوار والحجج والمرجعيات اللغوية والفكرية وأساليب التفاوض وطبيعة مباريات التحالف أو التنازع وإدارة الغموض والتى صاحبت ولا تزال إلى - لحظة كتابة هذه الدراسة - تصاحب المراحل الأولى من هذه الأزمة الدولية الممتدة ، فماذا عن وضعية سيناريوهات الإسلام والغرب فى إطارها ؟

٤- ماذا عن معضلات إدارة هذه الأزمة الدولية ، خاصة فيما يتعلق بدور المفاوض الممثل للواقع العربى الإسلامى ؟ على صعيد دبلوماسية المسار الأول (الرسمية) ودبلوماسية المسار الثانى غير الرسمية ؟ وماذا عن صياغة وتفعيل أجندة واضحة للتفاوض والحوار المطلوبين .

أولاً : ما المقصود بمنظور لغويات التفاوض ؟

بايجاز أرجو ألا يكون مخلاً أفيد بأننى قد قدمت هذا المنظور ونموذجه التحليلى بتفصيل كبير فى أطروحتى للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة **جورجتاون** بعنوان «تحليل لغوى لآليات القدرة فى المفاوضات السياسية الدولية» عام ١٩٨٩ ، ثم تابعت تطوير وتطبيق هذا المفهوم فى عدة دراسات شكلت جوهر المشروع العلمى المترابط الذى أحاول تقديمه وانشغل به كباحث[٢] .

وهذا النموذج يستند إلى الأسس والمنطلقات العامة التالية :

١- أن تحليل عملية التفاوض التى تقوم على وجود أجندات متنازعة فى الأصل لابد وأن تستند إلى نموذج علمى عبر تمازجى (INTERDISCIPLINARY MODEL) ينظر إلى اللغة فى سياقاتها الاجتماعية والنفسية والعرقية وكذلك إلى المرجعيات المعلنة أو غير المعلنة فى النص وفى الحوار ، وأن اللغة ترتبط بشكل عضوى بهذه السياقات والمرجعيات .

٢- أن عملية التفاوض ترتبط بعملية تقنية لابد من الإلمام بها فيما يتعلق بإقامة الحجج argument وعناصرها داخل وعبر الثقافات ومعايير الصحة أو الفساد وإدراك أساليب الاستخدام التقنى للأسئلة وتحقيق المرامى الاقناعية وأدوات التجنب والاندماج والاستقلال وإلى ما ذلك من مفاهيم تواصلية .

٣- إن عملية التفاوض ترتبط ارتباطا عضوياً بمفهوم السيناريو الذى يؤسس على مفهوم الحجة والتعرف على أساليب صياغته «وأنواعه المختلفة من استكشافى إلى معيارى إلى إنشاق كلية ... إلخ[٣] .... فإن عملية التفاوض ينبغى أن ترتبط فى حالة إدارة الصراعات الممتدة بأساس من قاعدة البيانات (DATA BASE) لرصد التحركات الاستراتيجية والتكتيكية .. لأطراف التفاوض / الصراع للتعرف على تطور أجندة موضوعات التفاوض إلى أى شئ انتهت فى السابق وإلى أى شئ ستنتهى فى المستقبل .

٤- إن عملية التفاوض الناجحة داخل الأمة وفى التفاعل مع الآخرين فى عالمنا لابد أن تركز على عملية إدارة الاختلافات وتحقيق العمل المشترك لتعظيم القدرة التفاوضية للامة والتعامل من منظور الفاعل المبادر وليس من موقع المفعول بن المندهش أو المحبط وموقع رد الفعل .

٥- إن عملية التفاوض تستند فى مراحل إدارتها الجماعية والمتقدمة خاصة على مفهوم النمذجة Modeling والمحاكاة SimulatiOns وهو مفهوم تقنى يعنى باستخدام الوسائل الحاسوبية المساعدة على اتخاذ انسب القرارات المدروسة فى صياغة التحركات الاستراتيجية والتكتيكية الخاصة بموقف تفاوض ما وهو الأمر الذى سيكون له تفاصيل أخرى .

٦- إن منظور لغويات التفاوض عندما يتم ربطه بمفردات ومصطلحات ومجال المستقبليات futuristics ليعنى محاولة تقديم صورة تفاعلية دقيقة لادارة السيناريوهات المختلفة المرتبطة بأجندة كل طرف على أساس تفاوض يسعى لتعظيم الأجندة وهو جهد يدخل كذلك فى بعد تفعيل وتوظيف الطاقات لقيادة عمليات التنمية وبناء الفريق الجماعى وصياغة الأجندة بشكل يتسم بأسلوب من صنع القرارات وليس مجرد اتخاذها .

فالفرق بين صنع القرار Decision Making واتخاذ القرار Decision taking

يكمن فى الفرق بين تفعيل العمل الجماعى الفعال وبين ترسيخ أسلوب الفردية (العنترية) التى لم نجنى من وراءها غير استفحال الأزمات بدلاً من التراكم العلمى والاستفادة من الدروس لصالح السياسات الجماعية .

فإن النظر لإدارة السيناريوهات ووضعيتها التفاعلية والتفاوض والاستباق المطلوب قد يكون فى لحظات معينة بمثابة إجراء مناورة على شاشات الحاسوب لتوضيح الآثار المدمرة أو الخراب الناتج عن انتهاج خطوات معينة دون خطوات أخرى ، دون أن يحدث الخراب فتكون إدارتنا للأمور هى **الإدارة بالعلم وبالسيناريو بدلاً من الإدارة من التعلم من الخراب أو الدمار والاستفادة من الأزمة بدلاً من استباقها ومنعها** .

ثانياً: بنك بيانات هذه الدراسة

يستند بنك المعلومات الذى يستخدمه الباحث فى هذه الدراسة إلى المكونات التالية :

المكون ١ :

عينة ممثلة لأهم الأبحاث الأكاديمية فى الغرب وفى العالم الإسلامى عن موضوع الإسلام والغرب فى العشر سنوات الأخيرة .

المكون ٢ :

عينة ممثلة للتفاعلات الإعلامية عن هذا الموضوع فى الإعلامين العربى والغربى ومجموعة من مقالات لكاتب السطور تفاعل من خلالها بالتحليل والتقييم مع أحداث وتفاعلات بعينها فى هذا الموضوع على مدى العشر سنوات السابقة وأثناء تفاعلات ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ .

المكون ٣ :

ما ورد فى تقارير المشروع الألفى لجامعة الأمم المتحدة لاستشراف المستقبل فيما يتعلق بموضوع سيناريوهات الإسلام والغرب فى التقارير المنشورة للأعوام من ١٩٩٧ - ٢٠٠١) بالإضافة إلى تفاعلات المؤتمرات المشتركة للمشروع من جمعية مستقبل العالم World Future society .

المكون ٤ :

ملف بواقع الأحداث والتفاعلات المتعلقة بانفجارات نيويورك وواشنطن فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١ على الصعيدين العربى والغربى .

ثالثاً: الخريطة الذهنية الأولية لوضعية سيناريوهات الإسلام والغرب من منظور لغويات التفاوض فيما قبل ١١ تفجيرات سبتمبر ٢٠٠١

إذا كان لى أن أضع تصورا أولياً ، لاشك أنه كان بحاجة إلى وضعه فى إطار النمذجة الحاسوبية Modeling ورصد نسب الأحداث والتفاعلات المختلفة الخاصة بعناصره لرصد المؤشرات الدقيقة المتعلقة بذلك وهو ما كنت أطمح فى القيام به من خلال المشروع الغربى الإسلامى لاستشراف المستقبل والذى ناديت بتدشينه منذ سنوات عديدة[٤] ، إلا إننى قمت بالجهد الفردى بما أراه على كونه الخطوة العلمية الأولى نحو هذا الاتجاه والمتمثلة فى دراسات نوعية أولية مطلوبة كأساس للنمذجة تركز على الرصد التصنيفى وعينة تحجم السيناريوهات والتحليل النوعى للحجج التى يتضمنها سيناريو ما من المنظور العلمى للحجج من ناحية رؤيتها كذلك من منظور التواصل عبر الثقافات ولقد كان اختيار تصميم وضعية سيناريوهات الإسلام والغرب بشقيها الصراعى والتعاونى كما فى الشكل التالى رقم (١) التالى والذى يستند على رؤية تقابلية أساسية بين حجج الصدام الحضارى والمباراة الصفرية فى مقابل تلك الحجج التى تستند إليها سيناريوهات التعاونى الدولى وحوار الحضارات وتجنب المباراة الصفرية .

شكل (١) عناصر ممثلة للخريطة الذهنية لسيناريوهات «الإسلام والغرب» قبل أزمة سبتمبر ٢٠٠١ .

فالشكل رقم (١) يوضح وجود مجموعتين رئيسيتين من السيناريوهات :

المجموعة الأولى وتدخل فى سيناريوهات الإسلام والغرب الصدامية أو المتعلقة بصدام الحضارات حيث المباراة الصفرية Zero - Sum Game .

والمجموعة الثانية تدخل فى إطار السيناريوهات المطروحة على ساحة التفاعلات الدولية فيما يتعلق بموضوع الإسلام والغرب وكان ما يقلقنى ولا يزال كباحث معنى بأهمية وجود تواصل ايجابى عبر الثقافات هو دراسة الحجج وانماطها وصحتها من فسادها العلمى وكيف تستخدم كأساس لبناء السيناريو من المنظور التقنى لمفهوم السيناريو فى إطار الصراع والصدام الحضارى ، وما يتعلق بذلك من سيناريوهات التحميل الموضحة وبعد تيقنت من أهمية التنبيه لخطورة وحجم تلك السيناريوهات والتى يجد الباحث الموضوعى أنها تستند إلى حجج ضعيفة وفاسدة من الناحية العلمية فهى أقرب إلى هندسة النزاعات وتعميقها وتفعيلها أكثر من كونها مجرد محاولة للتنبؤ المحايد وهو الأمر الذى كان إما نتاج حقيقى لمفاهيم ثقافية معينة أو تسييس الأحداث والمفاهيم الثقافية نحو مصلحة وأجندة مراد تفعيلها بطريقة أو بأخرى .

وهو الأمر الذى تناولته بالتحليل العلمى عند تعرضى لرؤية تقنية لصياغة السيناريوهات من منظورى لغويات التفاوض والمستقبليات فى المؤتمر السنوى المشترك

شكل رقم (١) : عناصر ممثلة للخريطة الذهنية لسيناريوهات «الإسلام والغرب قبل أزمة سبتمبر ٢٠٠١

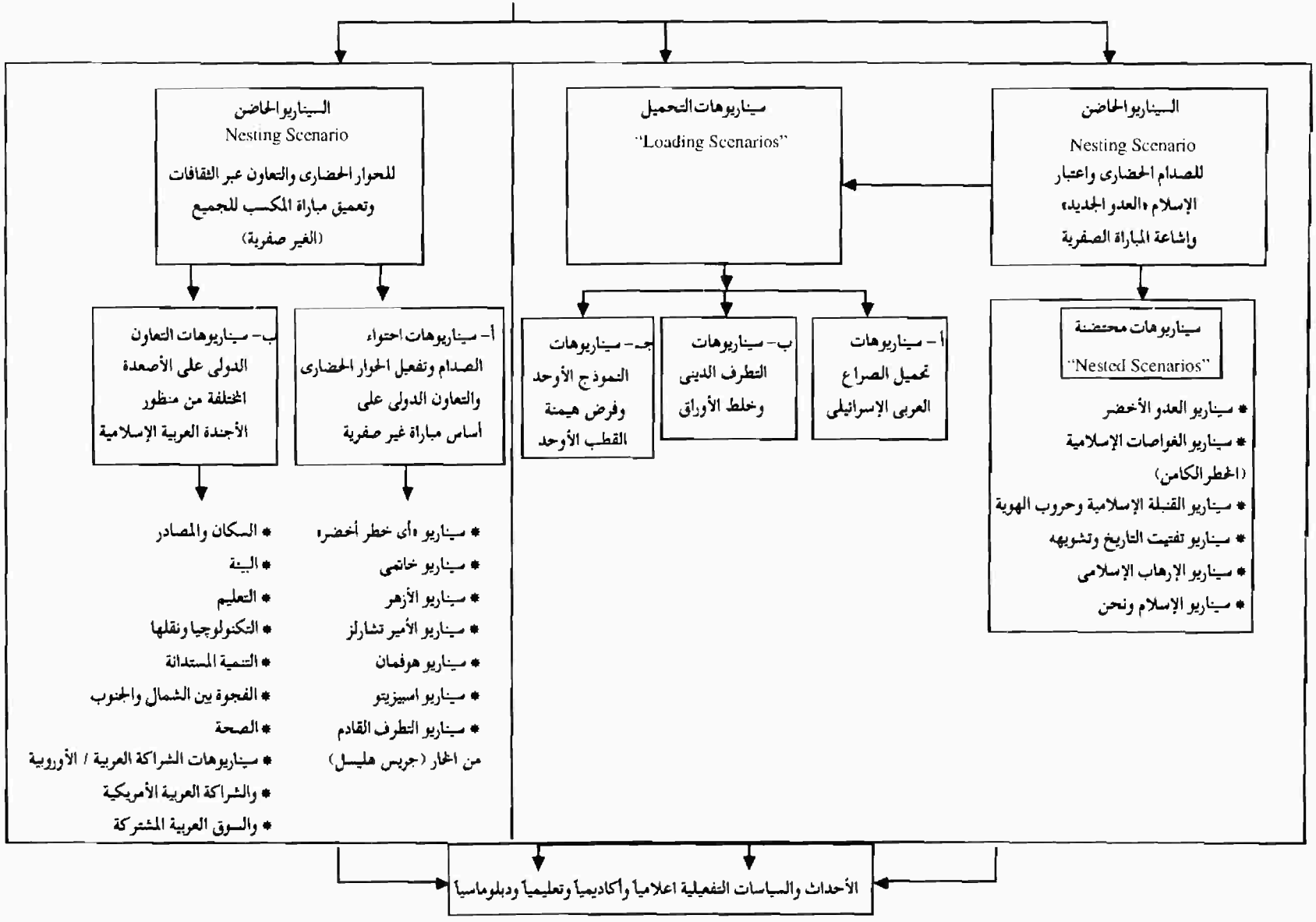

بين جمعية مستقبليات العالم (W.F.S.) والمشروع الألفى لجامعة الأمم المتحدة لاستشراف المستقبل عام ١٩٩٩[٤] .

ولقد تعرضت لطبيعة السيناريوهات المتضمنة فى الشكل السابق رقم (١) من حيث قوة أو ضعف الحجج والتى تفاعلت مع معطياتها وعناصرها على مدى فترة زمنية طويلة فى المؤتمرات العلمية والتفاعلات الإعلامية .

ولقد ناديت وفى أكثر من سياق مكتوب ومسجل[٥] بأهمية تفعيل ما أسميه «بالقوة البحثية العربية» لهذه المهمة التى كانت صورتها واضحة لمن يتعمق فيها . وشاركت فى دعوة المعنيين بهموم هذه الأمة للتغلب على عوائق تفعيل وتكريس هذه القوة البحثية الملائمة لهذا النوع من الصراع ... ولكن ومع الأسف فى الوقت الذى كنا بحاجة إلى التفرغ من أجل جهود استباقية مهمة للغاية على الساحة الدولية تم انشغال أو شغل عناصر القوة البحثية العربية المؤهلة لإدارة هذا النوع من الصراع المركب ، بأمور يطول الخوض فيها[٦] ... وفى ظل هذه الأوضاع «الغيابية» تفاجا بأحداث التفجيرات الإرهابية فى كل من نيويورك وواشنطن د. س فى الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ، حيث شاهد العالم كله فيها التدمير غير المسبوق فى أسلوبه لمركز التجارة العالمى فى نيويورك وضرب البنتاجون فى عقر واشنطن ، وهى الأحداث التى أثرت بعمق على الوضع الداخلى فى أمريكا وعلى الصعيد الدولى برمته وشكلت أزمة مفصلية ذات طبيعة فريدة فى تاريخ الأزمات الدولية ، حيث أصبح موضوع «الإسلام والغرب» هو الموضوع المحورى وازدادت خيوط الأزمة تركيبا وتعقيداً بما فيها ماهو تلقائى وما يتم تحريكه على انغام الصدام الحضارى مع سمى دوائر بعينها لتفعيل أمثلة السيناريوهات التصادمية الموضحة بالشكل رقم (١) السابق ومحاولة توجيه رد الفعل الأمريكى للأحداث وجهتها ، خاصة فيما يتعلق بسيناريوهات تحميل الصراع العربى الإسرائيلى على سيناريوهات الإسلام والغرب بغرض أحداث أقصى حالة من الاستعداد والتعبئة ضد العرب والمسلمين وهو ما أوضحناه فى سياسات عديدة قبل أزمة سبتمبر وبعدها[٧] .

وسوف نتناول بالتحليل وضعية السيناريوهات بالشكل رقم (١) أزمة سبتمبر ٢٠٠١ فى محاولة لتقديم قراءة فى عقل هذه الأزمة وسنكتفى بخصوص وضعية السيناريوهات التفاعلية فيما قبل الأزمة وهو السياق السابق للأزمة (pretext) بأن نقدم بإيجاز شديد توصيفاً لعناصر الشكل رقم (١) فيمايلى :

تفسير موجز لعناصر الشكل رقم (١)

يوضح الشكل رقم (١) السابق صورة للخريطة الذهنية لتفاعلات السيناريوهات المتعلقة «بالإسلام والغرب» .

ولقد رأينا أن السيناريوهات التى تجسد الفكرة الصراعية يمكن تصنيفها ومن

تحليل كم كبير من البيانات وعلى مدى فترة زمنية طويلة نوعيتين رئيسيتين ، نلخصها فيما يلى :

السيناريو الحاضن للصدام الحضاري
Nesting Scenario

عندما نتحدث عن سيناريو «الصدام الحضارى» «الحاضن» ، فنحن لا نقر فقط تعسفيته واختزاليته العلمية فى نقاط بعينها بل نقول بأن المنظر الحديث لفكرة الصدام والذى تمثل فى اطروحات كأطروحة هنتينجتون الذى استندفيه إلى آراء برنارد لويس وغيره لم يكن مبتكرا بل أن أبحاثه هذه أقرب إلى توجيه السياسة إلى جهة مصالح ما أكثر منها استقراء دقيق للواقع الدولى . فلقد أورد دهنتينجتون رؤيته للصراع المستقبلى وشكل العالم فى إطار حضارات تتصادم وتتفاخر فى نهاية المطاف وخاصة مع «الإسلام» ...

«وإن على صانعى السياسة الغربية ضمان تزايد قوة الغرب لكى يستطيع صد كل الآخرين ، خصوصا الإسلام » .

ولقد أورد هذا المنظر الحديث «لصدام الحضارات» نظريته فى عملين[٨] أساسيين :

أولهما : بحث فى مجلة فورين افيرز فى صيف ١٩٩٣ . وثانيهما فى كتاب بنفس العنوان أى «صدام الحضارات» مضاف إليه جملة «وإعادة صياغة النظام العالمى» أى على «هدى» من الصدام والحروب المفتعلة التى شاهدنا الكثير من ملامحها والتى تدار أو تنتهز فرص ادارتها نحو مصالح استراتيجية وأطماع محددة . هذه الفكرة بالتأكيد هى فكرة الحروب الصليبية الدينية بعينها (مع تغيير فى المصطلح) والمعروف أن هذه الحملات الصليبية وفكرتها لم تكن إلا من قبل التجارة بالأديان وبهدف الحصول على المواد الخام ونهب الثروات باسم الصليب ، وهذا معترف به من قبل الغرب ذات اليوم ، ولقد أكد على ذلك تونى بلير فى خطابه أمام مؤتمر حزب العمال فى اكتوبر ٢٠٠١ حينما شبه «اسامة بن لادن فى اختطافه للدين الإسلامى باختطاف الحملات الصليبية للصليب لتتخفى وراء اطماعها» .

عموما كان السيناريو الحاضن الرئيس لصدام الحضارات من ماضى الحروب الصليبية المتخلف إلى حاضر ومستقبل كان يفترض أن يكون أكثر تقدماً على الصعيد الإنسانى ولكن وبوجود امبراطورية اعلامية غير مسبوقة فى التاريخ الإنسانى كان الترويج لصدام الحضارات يجرى على قدم وساق وكانت دوائر بعينها تسعى إلى استحضار الإسلام ومعه العالم العربى والإسلامى ليكون موضع «صدام حضارى مع الغرب» مستغلة ومضخمة أو مفتلعة لاحداث بعينها فى محاولاتها لإيصال الأمور إلى حد احداث أكبر قدر عالى من الاستعداء ضد العرب والمسلمين إما عن سوء فهم أو سوء نية أو تحقيق مصالح تتعلق بالهيمنة والموارد أو كل ذلك .. ولا شك أن حالة

التخلف والنزاعات والأحداث الدموية التى دبت فى أنحاء من العالم العربى الإسلامى كانت اسهاماً عربياً اسلامياً غير مسبوق لاصحاب التنظير لصدام الحضارات وتفعيله والتخفى من ورائه بشكل أو بآخر ، الأمر الذى أعطى شيئاً من المصداقية لنظرية الصدام لدى الكثيرين ... والمشكلة أن التفاعلات التعاونية والإيجابية الأكثر فى واقع التفاعلات الدولية قد تم «دشتها» وعدم إبرازها مع تضخيم اعلامى كبير لكل ما يدعم من نظرية الصدام .. ولا شك أن ندفع فى هذا الخضم ضريبة الجهل والتخلف لدى هذا القطاع الذى اختطف الاسلام وألحق بصورته وحقيقته السمحة أكبر الأذى فها هو أحد قيادى الجماعات المتطرفة يظهر فى الاعلام الفرنسى مؤخراً ليوضح كيف أن قتل الأبرياء فى الجزائر هو عقاب للشعب الذى «خرج عن اسلامه» باتباع القيادة وبالتالى اصبح دمه مستباحاً ... وإذا كانت غزارة الدماء هى طبيعة العمليات فى شهر رمضان خاصة ، فإن ذلك وكما قال سيادته اقصد كما قال «دكتاتوريته» أو «همجيته» لان شهر رمضان هو شهر «الجهاد» !! .. أى إنحطاط انسانى هذا ... وأى تزييف لحقائق الاسلام وحقيقة الجهاد الذى يعنى العلم والمعرفة وكلمة حق عند سلطان جائر وقتال الأعداء عند هجومهم على ديار المسلمين أساساً وهو الجهاد الأصغر كما وصفه الرسول ﷺ أما الجهاد الأكبر فهو جهاد النفس والسعى للتقوى وعمل الخير والعلم النافع ..

السيناريوهات المحتضنة
Nested Scenario

وفيما يلى مجرد عينة لما يمكننا وصفه فى إطار مفهوم السيناريوهات المحتضنة وهى تلك السيناريوهات المتمخضة أو الخارجة من رحم السيناريو الحاضن الرئيس (الصدام) والتى تؤكد على مضمونه بتنوعات وأشكال وصيغ ومفردات وتعبيرات متعددة . وهنا نجد مايلى :

* **سيناريو «الخطر الأخضر»** : وهو ذلك التعبير الذى استخدمه بعض المسئولين فى حلف الناتو للتدليل على استبدال الخطر الأحمر الشيوعى بعد انهيار الاتحاد السوفيتى السابق .

* **سيناريو «الغواصات الإسلامية»** : (بودانسكى) وهو سيناريو قدم له الكاتب الصهيونى بودانسكى فى كتاب مهم بعنوان «الإرهاب يستهدف امريكا» وخطورة الكتاب فى أنه لم يتعامل فقط مع أن هناك مجموعات ارهابية أى كان اسمها أو معتقدها الدينى بل ركز فى لغته على أن أى مسلم عربى يسكن فى الولايات المتحدة والغرب هو «كالغواصة» الساكنة التى تظل فى حالة البحث عن هدف لضربه فجأة . ولذلك أسمى كل مقيم فى الولايات المتحدة «بالغواصات الإسلامية» وهذا السيناريو له تردد لغوى آخر فى بريطانيا حيث يسمى العربى المسلم بتعبير (P D) إختصار لتعبير "Potential Danger" أى «الخطر الكامن» ... وبالرغم من طرح هذا الكتاب فى مستهل التسعينات إلا أنه وصف ما يحدث فى الاعلام الغربى اليوم .. وتعقيد الأمر

يكمن فى أن المتهمين بالتغييرات فى واشنطن النيويورك ٢٠٠١ قد قاموا فعلا بدور الغواصات كما وصفهم بودانسكى فهل هذا اسهام آخر من العرب والمسلمين الذين أساءوا إلى الدين والوطن والأرض التى استضافتهم أم أن هناك أمر آخر ؟!

* **سيناريو «القنبلة الإسلامية»** : .... وهو سيناريو تم تدشينه عند وصف أحداث التفجيرات النووية الباكستانية التى اعقبت التفجيرات النووية الهندية ولقد تعرضنا لهذا السيناريو فى حينه ورصدنا سر تسميته بهذا الأسم من قبل كل من كيسنجر وشارون[٩] ومفاده يدخل فى كوكبه تلك السيناريوهات الخارجة من رحم السناريو الحاضن الرئيس والهادف إلى إحداث أعلى درجة من الإستعداد تجاه العرب والمسلمين فى الغرب وفى العالم كله .

* **سيناريو «تفتيت التاريخ وتشويهه»** : هناك العديد من الأمثلة على مثل مضمون هذا السيناريو ولقد تناوله الكثير من الباحثين العرب وبعض الغربيين ولكن مفاد مثل هذا السيناريو هو اختزال الإسلام وتشويهه إما عن قصد أو عدم معرفة ودون قصد ولكن المنتج النهائى من تلك الكتابات تفيد بترديف الإسلام بالإرهاب ومعادته الديمقراطية والعلم والكثير من المفاهيم التى تجعل من المتلقى الغربى يتعر بالاصطدام حتى مع قيم انسانية عالمية[١٠] .

* **سيناريو «الإرهاب الإسلامى»** : فى الكثير مما ذهب إليه رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق بنيامين نتنياهو ، لا يخفق المحلل الموضوعى من رصد خط الدعاية الذى يحاول تكريسه من احداث بعينها وتعميمها لتصب فى خانة معاداة المسلمين والإسلام ذاته[١١] وهذا ليس بجديد ولكن ربما نرى كيف يحاول الصهاينة تفعيل هذا البعد بمحاولة خلق سياسات تفعيلية خطيرة بناء على خلط الأوراق وتحقيق أهداف سياسية بعينها ولذلك كان نتيناهو أول من سعى إلى انشاء منظمة لمقاومة «الإرهاب الإسلامى» فى واشنطن فى عام ١٩٩٠ .

* **سيناريو «الإسلام ونحن» (جون مونرو)** : هذا السيناريو كان له أكثر من تنوع وشكل ولكنه من تلك السيناريوهات التى تقسم العالم إلى «الإسلام» من ناحية فى مواجهة مع الغرب من الناحية الأخرى» وهو سيناريو يتعسف فى فهم الإسلام ولا يصور فقط صعوبة التواصل مع الدول الإسلامية بل الخطورة التى يمثلها الإسلام على مفاهيم «التنوير» «والتسامح» و«الديمقراطية» «والعلمية» التى تتحلى بها الثقافة الغربية فى مقابل «الدجمائية» «والظلامية» «واللاتسامح» «والإطلاقية» .. ويصـــل إلى توصيف لشكل «العقيدة الإسلامية» التى «يقبلها الغرب» ويتواصل معها ومـع معتنقيها .. أى يقـوم بعملية «غربنة» أو «أمركة» للاسلام المراد والمرضى عنه[١٢] .

سيناريوهات التحميل قبل أزمة سبتمبر ٢٠٠١
Loading Scenarios

وأقصد بها تلك السيناريوهات التى يتم تحميلها بعناصر من سيناريوهات أخرى لاستغلالها لصالح أجندة ما .

وأقسمها إلى ثلاثة مستويات :

أ- سيناريوهات تحميل الصراع العربى الإسرائيلى .

فعلى صعيد ما قبل أزمة سبتمبر نجد العديد من السيناريوهات التى حاولت دوائر معينة طرحها «لتركيبها» على مستوى من المستويات المتعلقة بسيناريوهات الإسلام والغرب ، بحيث ترسم أوضاعاً ستواجه فيها الدول العربية تدخل امريكى مدعوم بقوات الناتو - ليتم تبريره وتسويقه - إلى جانب إسرائيل لغرض حل للقضية الفلسطينية إذا ظل الفلسطينيون يرفضون ما يقدم لهم كما حدث فى كامب ديفيد الثانية[١٣] .

ب- سيناريوهات تحميل «التطرف الدينى» و«خلط الأوراق» :

وهنا تدخل تلك السيناريوهات التى تطرحها حركة المسيحية الصهيونية المعروفة بتطرفها وسياساتها التى تهدف إلى هدم الأقصى وبناء المعبد اليهودى[١٤] .

ويدخل فى إطار مثل هذه السيناريوهات على الصعيد العربى الإسلامى تلك التى تمثل فى نفس الوقت نوعاً من «اختطاف الدين» كما حدث عندما احتل صدام حسين الكويت ثم قام بتحميل المواجهة مع الغرب فى أزمة الخليج الثانية ١٩٩٠ بمفاهيم تتعلق «بالإسلام والغرب» و«تحرير فلسطين» وكان هذا نوعاً من خلط الأوراق لتمرير أجندة مصالح تسلطية لنفر محسوب على الأمة الإسلامية حيث يطرح نفس النوع من السيناريوهات عندما تقرر مثلاً طالبان أو تنظيم القاعدة الدخول فى مواجهة لحساب فهمها الخاص بالإسلام والغرب ، ومحاولة فرض وتعميم وجهة نظرها وتصرفاتها بتحميلها فوق «المفاهيم المتواجدة على ساحة التفاعلات» فيما يتعلق «بالإسلام والغرب» أو «بالصراع العربى الإسرائيلى» ... وينطبق ذلك على أى سيناريوهات تنبع من واقعنا العربى الإسلامى ترفض التعامل مع الغرب كلية وتتجاهل أنه يتسع لاستيعاب التوجهات الإيجابية التى من شأنها أن تمثل الوجه الحضارى للإسلام وكيفية محاولة حل مشاكل الإنسان من منظور إسلامى معاصر يأخذ الفقه على النحو السليم من حيث شقيه : «شق فهم الواقع المركب» و«شق التعامل السليم دينياً معه» .

جـ- سيناريوهات تحميل النموذج الواحد وفرض هيمنة القطب الأوحد :

وهنا نجد أنه ومع ظهور مصطلح «النظام العالمى الجديد » خرج على العالم ما يشبه «سفن الفضاء» المعدة لغمر فضاء كوكب الأرض بسيناريوهات مثل «نهاية

التاريخ» لفوكوياما ، و«سيناريوهات الثقافة الجديدة» و«رسالة الرجل الأبيض» وسيناريو «نهاية الإسلام» و«سيناريو الحرب المقبلة» .... وغير ذلك من مسميات عولمية متماثلة . تهدف باختصار شديد إلى فرض النموذج الأمريكى الليبرالى سياسياً واقتصاديا وثقافيا . بحيث تنصهر الثقافات فى بوتقة «القرية الكونية» بقيادة امريكا فى كافة المناحى وهذه السيناريوهات التى تتعلق بفرض هيمنة النموذج الأوحد ، وكان لاشك وأن تمثل تحميلاً جديداً وسلبياً «لسيناريوهات الإسلام والغرب» ....

حيث يعتبر ذلك مرفوضا شكلا وموضوعا من منظور الخصوصية الثقافية ؛ كانت إسلامية أو غير اسلامية فالتنوع سنة من سنن الله فى الكون «ولن تجد لسنة الله تبديلاً» صدق الله العظيم . وبإيجاز نشير إلى طبيعة الحجج المتضمنة فى هذه السيناريوهات .

* **«سيناريو نهاية التاريخ»** :

.... ويهمنا منه عن إطار «الإسلام والغـرب أن نشير إلى مقولة فـوكوياما التالية :

«بما أن الإسلام الأصولى هو ديانة شمولية تسعى إلى تنظيم كل ناحية من نواحى الحياة الإنسانية ، العامة منها والخاصة فليس مستغرباً أن تكون الدولة الديمقراطية الليبرالية الوحيدة فى العالم الإسلامى المعاصر هى تركيا التى كانت الدولة الوحيدة التى أصرت على رفضها الصريح لتراثها الإسلامى»[١٥] .

* **سيناريو مفهوم الثقافة الجديدة ورسالة الرجل الأبيض** : وينعكس فى التعبيرات المطاطية مثل «الحضارة الإنسانية الجديدة» و«مجلس القيادة العولمى» وكل هذه المفاهيم التى يتضح من خلال التفاعل بخصوصها أنها تهدف إلى الإتيان على وتقويض عناصر رئيسية من الثقافات المحلية والثقافية الإسلامية منها ، وهى **تختلط** بفهم دوائر معينة فى الغرب بما يسمى برسالة الرجل الأبيض «التى تتبناها نخب حاكمة فى الغرب ترى فى التوسع وبسط النفوذ (الاقتصادى والثقافى والسياسى) خدمة انسيانية وليس مجرد تحقيق للمصالح . ولقد انتقد وليام فولبرايت السيناتور الأمريكى السابق ورئيس لجنة العلاقات بمجلس الشيوخ هذه النزعة العنصرية للبعض فى الغرب وأفاد بأن سياسة القوة تمارس مستترة بشتى الأسماء وقد كان البريطانيون يسمونها «عبء الرجل الأبيض» والفرنسيون يسمونها «رسالتهم الحضارية» وأمريكيو القرن التاسع عشر يصفونها بأنها مصيرهم المحترم ...[١٦] .

* **سيناريو نهاية الإسلام (والعياذ بالله)** :

ورد هذا السيناريو فى إطار أربعة سيناريوهات (للإسلام والغرب) قدمت من قبل د. سهيل عناية الله بمركز الاتصالات بجامعة كوينز لاند للتكنولوجيا فى تقرير له

بعنوان : «الأمة الإسلامية ٢٠٢٥ : مراجعة للنماذج والأساليب والمستقبلات البدلية»[١٧] .

وفى إطار هذا السيناريو يعطى مثالا لما قد يحدث من داخل البلدان الإسلامية وخارجها من ضغوط عندما تشتعل حروب فتن طائفية وينشغل المسلمون بصراعات داخلية فى الوقت الذى يتعرضون فيه لضغوط ومعارك خارجية فتأتى النتائج بإسلام إسمى فى نهاية المطاف .

ولعل هذا السيناريو هو أسوأ ناتج لسيناريوهات الصدام ، إن لم يتم احتواء ما يؤدى إلى ذلك بعناية ومثابرة وعلمية .

* **سيناريو الحرب المقبلة Nextwar Scenarios :**

ورد هذا السيناريو – وفى الواقع سيناريوهات حروب المستقبل فى كتابة كاسبار واينبرجر وزير الدفاع الأمريكى الأسبق وبيتر شويتزر وقدمت له مارجريت تاتشر[١٨] وهو على عكس ما يتصور من الأهمية الأكبر والأجدى للحوار والتفاوض لإدارة الصـــراع ، يوحى الكتاب بأنه لا بديل عن سياسات القوى الإمبراطورية وفرض الهيمنة ، فالكتاب يدخل فى مجال الاطلاع على نوعية الصدامات الحضارية المستقبلية وهو «أعنف بكثير» وأكثر أيديولوجية من هانتيجينتون فهو يكاد أن يكون ترويجا آخر لنظرية الصدام الحضارى أكثر من أن يكون فى اتجاه الاستكشاف والتنبؤ العلمى المجرد بهدف التدخل الإيجابى والأخلاقى لمصلحة الإنسان الذى ابتلى هذا الزمان بعتاة تجار الأسلحة وفتح أسواقها وإدارة الاقتصاد على حساب الضحايا والانقضاض على الموارد أينما وجدت باختلاق الحروب وتزكيتها وهذا الكتاب الذى صدر عام ١٩٩٦م يطلب من الحكومة والشعب الأمريكى أن يكونا على استعداد لدخول حروب يضعون لها تواريخ افتراضية وتفاصيل دقيقة ومنها حرب للتدخل بين كوريا الشمالية والصين ، حرب ضد إيران ، حرب ضد المكسيك ، حرب ضد روسيا فى ٢٠٠٦ حرب مع اليابان ٢٠٠٧ ، ويضع الكاتبان الحيثيات وحتى طبيعة القتال وأنواع الأسلحة المستخدمة بما فى ذلك اللجوء إلى ضربات نووية تكتيكية وتدمير منشأة نووية ... وهل يمكن أن يكون ذلك إلا عبثاً انسانياً فى نهاية المطاف وربما إنهاء للحياة على هذا الكوكب !!

تفسير عناصر الشكل (١)

مضمون الحجج الموجز لسيناريوهات الحوار والتعاون الحضاري

يوضح الشكل رقم (١) السابق إشارة أولية لنوعية السيناريوهات التى تتضمن الحجج السياسية لإحتواء الصراعات عبر الثقافات وترسيخ أنماط التعاون وتعميق التفاوض الإيجابى المبنى على مباريات غير صفرية لصالح الشرعية الدولية وأشكال النماء البناء وتدعيم أسس الاستقرار والسلام العادل .

وهناك وكما فى حالة سيناريوهات الصدام ، هناك سيناريوهات للتعاون ومع الصدام والحوار الإيجابى فيما يتعلق بسيناريوهات الإسلام والغرب وهذه السيناريوهات الإيجابية تطرح من الغرب ومن العالم العربى الإسلامى على مستوى دبلوماسية المسار الأول الرسمية وكذلك على مستوى دبلوماسية المسار الثانى من خلال الباحثين والمفكرين والقنوات الإعلامية المكتوبة والمسموعة .

ولا يتسع السياق هنا لسرد كل هذه السيناريوهات ، ولكن وكما أوردنا عينة مماثلة لسيناريوهات الصدام نقدم بإيجاز شديد سيناريوهات التعاون والملاحظة الأولية أن سيناريوهات الصدام هى التى تحظى بالاهتمام الإعلامى على الصعيدين الغربى والعربى فيتأكد أن هى الأحظى بالتركيز والتفعيل مع الأسف الشديد أو تترسخ بشكل لا إرادى يكون له آثاره السلبية على التفاعلات داخل وعبر الثقافات .

وفيا يلى إشارة سريعة لسيناريوهات التعاون كما وردت فى الشكل رقم (١) السابق :

* **سيناريو أى خطر أخضر هذا WHAT GREEN PERIL[١٩] :**

فكما ظهرت مقال هنتينجتون الشهير فى مجلة الفورين أفيرز فى صيف عام ١٩٩٣م ظهر مقال فى نفس الفصل بعكس ما ورد ويرد بخصوص صراع الحضارات للكاتب Leon Hadar ويرد على الأصوات المطالبة للإدارة الأمريكية بالتصدى «للخطر الأخضر الداهم» وهو الأمر الذى تردد على لسان قيادات فى حلف الناتو كذلك .

وبداية نشير إلى الحجج المهمة التى وردت فى سيناريوهات الخطر الأخضر وهى كما يلى :

* الخطر الأخضر المتمثل فى الإسلام يتأهب للإنقضاض على الحضارة الغربية وهذا يتضح من انتشار الجماعات الإسلامية المتطرفة – إيران الخومينى التى تملك سلاحا نوويا وأيدلوجية وراديكالية وتستعد لشن حرب الجهاد ضد الغرب .
* هناك مؤامرة إسلامية كبرى مثل السرطان الذى ينتشر وينخر شرعية القيم الغربية ويهدد الأمن القومى ..

هذه النظرية ترتبط بين أحداث متفرقة مثل : انفجار المركز التجارى فى نيويورك (١٩٩٣ – الحرب الأهلية فى السودان بين المسلمين والمسيحين – الهجمات الإرهابية فى مصر – شعبية الأحزاب الإسلامية فى الجزائر وتونس .. إلخ .. كلها أمور يراه المنظور الغربى من إعداد (الإسلام السياسى الدولى) . حسب التعبير الوارد عند ليون هادار .

زاد من هذا السيناريو :

* أن عرضت كل من تركيا وإيران على الغرب المساعدة للتصدى للمخططات فى آسيا الوسطى ، وقدمت الهند نفسها كقوة واقية ضد المخططات الإسلامية لباكستان .

* وصف الصرب سياسة (التطهير العربى) ضد مسلمى البوسنة بأنها جزء من الجهد لاحتواء انتشار الإسلام المتطرف فى قلب أوروبا .

* وإسرائيل تخلط بين الفلسطينيين والكفاح ضدها (بخطر الإرهاب الإسلامى) .

ويقول هادار : إن الإسلام لا يشكل تهديدا من أى لون على الولايات المتحدة ، وإذا سمحت واشنطن لهذه الفرضية بتوجيه سياساتها الخارجية فستلقى بنفسها إلى معركة طويلة ومكلفة للغاية ضد ظواهر إقليمية مختلفة لا رابط بينها (قال هذا عام ١٩٩٣ المرجع (١٩)) .

ويضيف قائلاً فى نفس المرجع : إنها فكرة «العدو» الذى لابد منه لدرجة رسم صورة مبالغة لا تشمل حركات وجماعات إسلامية قد تكون معادية للغرب ، بل تم رسم صورة قاتمة وعدوانية لدول مثل «السعودية الصديقة» و«ليبيا المعادية» لتجمع الصورة كل أطياف الألوان «للعدو الوهمى» .

ويضيف ليون هارد قائلاً :

«بـل إن الإسلام هو المهدَد وفى موقف الدفاع عن النفس ضد اعدائه المتطرفين ، **ففى البوسنة وكوزوفا** نجد أن المسلمين يُذبحون على يد الصرب الذين تربطهم علاقة قوية بالكنيسة الأرثوذوكية الشرقية فى آسيا الوسطى . كما أن الحرس الشيوعى القديم يقود بمساعدة القوميين **الروس** حملة دموية ضد المسلمين أدت إلى تشريد عدد كبير من طاجيكستان باكستان وأفغانستان .

وفى الهند : تحدث جرائم اضطهاد ضد المسلمين على يد الأحزاب المعادية للإسلام ويضيف ، وغنى عن الذكر ما تفعله منظمة جوش امونيهم الإسرائيلية من محاولات تصفية الحركة الوطنية الفلسطينية . وهناك العنصريون فى فرنسا والنازيون الجدد فى المانيا وطردهم للآلاف من المهاجرين المسلمين بأساليب بالغة القسوة والعنف .

ويذكر أن المجاهدين فى أفغانستان قد تم تدريبهم من قبل المخابرات المركزية الأمريكية وتمكنوا من القضاء على النظام الذى تسانده موسكو فى إبريل ١٩٩٣ .

وتعتبر هم حكومات آسيا الوسطى التهديد الحقيقى الآن .

ويقول : «أنها لعبة توازن القوى وليست حربا مقدسة » فتفتيت افغانستان إلى دويلات صغيرة يحكمها زعماء قبائل مختلفة ذات علاقة بالقوى الخارجة يعكس

ممارسة نفس لعبة القرن التاسع عشر الكبرى فى آسيا الوسطى والإسلام ليس إلا جزءاً «جانبيا فى هذه المبارة ...»[٢٠] .

ويسترسل هادار في تفاصيل أخرى عديدة ولكنه يصل فى النهاية إلى اقامة حجة تفند حجة الصدام الحضارى وتحلل الأمور من منظورة الوقائع فى مباريات نظرية القوة التى تمارس وليس نظرية صراع الحضارات الذى لا يعدو عن كونه غطاءً لتحقيق المصالح الاقتصادية فى المقام الأول ... فهل حظيت دراسة هادار بواحد على مائة $\frac{1}{100}$ مما حظيت به دراسات هانيتنجتون ومن سار على دربه .

*** سيناريو خاتمى / السيناريو الإيرانى**

تسعى إيران فى ظل خاتمى إلى إحداث تغيير نوعى فى الإنفتاح على العالم وإزالة آثار فترة الثورة الأولى وما صاحبها من دعاية واحداث فعلية .

ولقد بادرت ايران بفكرة «حوار الحضارات» بدعوة من الرئيس محمد خاتمى ، وجاءت دعوته فى وقت يستعد فيه لخوض معركة الرئاسة الإيرانية للمرة الثانية ، وفى ظروف مواجهة بالغة الضراوة بين اتجاهه الاصلاحى والإتجاه المحافظ ... كان من مصلحة المجتمع الدولى تشجيع خاتمى وتشجيع هذا الاتجاه ولقد وردت عوامل وعناصر سيناريو معيارى إيرانى من خلال تفاصيل كتابين مهمين كتبهما محمد خاتمى رئيس ايران ، وهما «الإسلام والعالم»[٢١] وكتاب «الدين والفكر فى فخ الإستبداد»[٢٢] ونرى أن عناصر هذا السيناريو تتعامل مع سيناريو نهاية التاريخ لفوكوياما وكأنه يقول ... ليست الليبرالية الديمقراطية التى وضعها فوكوياما كأنسب نهج للنجاح فى عالم اليوم بل إن الطريق لا ينبغى وأن يقطع هكذا . من هنا ومن واقع ممارسة الحكم يحاول خاتمى ضبط معادلة التدين والحداثة وعدم التعارض بينهما وكذلك يحاول اثبات عكس ما روج له من تشويه فى الغرب فى الفترة الأولى من الثورة ويحاول تقديم صورة معاصرة للإسلام .

*** سيناريو الأزهر**

ما يعبر عن عناصر سيناريو معياري الأزهر يتمثل فى الدعوة إلى الاسلام وجهود إلتقاء السنة والشيعة من أيام الشيخ شلتوت وانشاء مركز لفض المنازعات . كما أن للأزهر مراكز علمية متخصصة عديدة اليوم كما فى مجالات الإقتصاد الإسلامى والسكان والتنمية لتقديم المنظور الإسلامى المعاصر لقضايا الساعة بالإضافة إلى جهود فتاوى شيوخ الأزهر فى هذا المجال ولقد قدم كاتب السطور رؤية تفصيلية عن طبيعة سيناريو معيارى Normative معبراً عن دور الأزهر فى فاعليات المؤتمر المشترك لجمعية مستقبلات العالم والمشروع الألفى لجامعة الأمم المتحدة عام ١٩٩٦ ويتمثل هذا السيناريو ليس فقط فى إدارة إحتواء مرتكزات الحملة ضد الإسلام فى الغرب بل

والتحرك على صعيد المبادرة الإيجابية وتقديم رؤية معاصرة لشغر مساحات التفاوض المهجورة على الساحة الدولية كما بخصوص ماكان يثار - ولا يزال - من محاور فى مشروعات استشراف المستقبل المرتبطة بآليات صناعة القرار الداخلى والدولى كما فى محاور المشروع الألفى لجامعة الأمم المتحدة فى مجالات البيئة والصراعات العرقية - والأخلاقيات وفى مجال الرد على ما أثير من تناقض بين الديمقراطية والإسلام وتوضيح بعد الشورى وما إلى ذلك من قضايا ولا يزال الامر بحاجة إلى وضع سيناريو معيارى يرتبط بوضع أجندة حوار وتفاوض مع العالم الخارجى بالأسلوب الذى يتم فى مشاريع استشراف المستقبليات ومن تحت المظلة المصرية العربية الإسلامية والتفاعل مع مشاريع الاستشراف الدولية طبقاً لهذا المنظور وبالأسلوب الذى سنوضحه فى الجزئين الثانى والثالث من هذا الكتاب ، للتعامل مع خريطة سيناريوهات الصدام الحضارى وكل مـا يتعلق بالتأثير سلباً على أجندة الدول العربية الإسلامية فى التنمية وفى توصيل الصورة الحقيقية والسمحة للإسلام للاسهام الإنسانى فى حل معضلات الحضارة الحديثة .

*** سيناريو الأمير تشارلز / سيناريو هوفمان / سيناريو ازبيزيتو**

إذا كان لنا أن نستخرج عناصر لسيناريوهات يمكن تسميتها بالأمير تشارلز وهـــوفمان وازبيزيتو فهذا يشير إلى اسهامات كل منهم وتطويرها والبناء عليها فللامير تشارلز جهوده فـــى توضيح اسهام الاسلام فـــى الحضارة الغربية والـــرد على مرتكزات الحملة ضد الاسلام فى الغرب ، والتوافق بين الإسلام والحداثة . بالمعنى الإيجابى لها وكذلك مع فكرة الديمقراطية من منظور الشورى وتندرج جهود كل من هوفمان وازبيزيتو فى عدة كتب ومقالات مهمة لهما فى هذا الاتجاه[٢٣] .

*** سيناريو التطرف القادم ممن الخارج جريس هليسيل**

فى مقابل سيناريوهات النبؤات الصهيونية المدمرة الخاصة بهدم المسجد الأقصى وإقامة المعبد اليهودى يمكن استخراج سيناريو معيارى للتصدى لهذه النبوءات المدمرة من خلال ما ورد فى كتاب مهم مثل كتاب جريس هليسيل بعنوان النبوءة والسياسة المحاربون من الإنجيليين على طريق الحرب النووية وما شابه ذلك من أدبيات تعاملت مع هذا الموضوع[٢٤] ويدخل فى هذا الإطار الاستعانة بكتاب «من أجل الأرض والرب» لايان لوستيك الذى يقدم رؤية نقدية للأصوليات اليهودية وكذلك كتاب «الدين ذلك البعد المفتقد فى العلاقات الدولية»[٢٥] .

كما يدخل فى رصد عناصر الشكل رقم (١)

سيناريوهات التعاون الدولى على الأصعدة المختلفة من منظور الأجندة العربية الإسلامية وكذلك سيناريوهات الشراكة العربية الأوروبية والشراكة العربية الأمريكية والسوق العربية المشتركة ولهذا سياق تفصيلى آخر .

ثانياً: الوضعية التفاعلية لسيناريوهات الإسلام والغرب بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١ (أزمة الحرب الجديدة)

ما الذى استجد على الشكل رقم (١) السابق أو بمعنى آخر ما الذى استجد بعد أن تفجرت أزمة سبتمبر ٢٠٠١ أو ما سمى «بأزمة الحرب الجديدة» .

بإيجاز شديد لقد اتسمت تفاعلات الأزمة بما يلى :

(أ) بعد حدوث التفجيرات سارعت دوائر بعينها بتصدير أسماء العرب والمسلمين وتوجيه أصابع الاتهام لهم كما حدث في حادثة اوكلاهوما سيتى وثبت خطئها ، وكان مصدر التعجب ان الاتهام كان سريعاً للغاية وتم إتخاذ الكثير من الإجراءات كما لو كان الدليل الحاسم قد توفر ، وهنا وجدنا زحفا من هذه الدوائر لملء شاشات المحطات الغربية والظهور للحديث عن كل مسميات سيناريوهات الصدام الحضارى التى اشرنا إليها ورصدناه مسبوقاً فى الشكل (١) ومحاولة اثباتها بشكل أو بآخر .

ونضرب مثلا سيناريو «الإرهاب الإسلامى» لنتنياهو – الذى ظهر كخبير فى الإرهاب على شاشات قنوات الاعلام الغربية .. ليطالب الحكومة الأمريكية بتبنى وجهة نظر المؤسسة التى انشأها عام ١٩٩٠ فى واشنطن بإسم «مقاومة الإرهاب الإسلامى» والتى تدعو إلى خطة لإعادة المسلمين والعرب للديار التى جاءوا منها (Deportation plan) مثلها فى ذلك لا يختلف عن خطة اخراج الفلسطينيين من الصفة الغربية إلى الأردن .. وما إلى ذلك من اجندات صهيونية متطرفـــة وخالطة لكل الأوراق وضاربة بعرض الحائط كل النظم والقوانين الدولية .

(ب) تنبهت الإدارة الأمريكية لمحاولات الدوائر الصهيونية توجيه رد الفعل الأمريكى للانتقام مما حدث من خسائر مادية وبشرية ونوعية غير مسبوقة فى التاريخ الأمريكى وإلى عدم الانسياق وراء الحملة المحمومة للصدام الحضارى وإعلان مسئولية الإسلام والمسلمين عما حدث وأكد الخطاب الأمريكى والبريطانى والأوروبى على **الفصل بين «محاربة الإرهاب» و«الإسلام»** وفى أكثر من سياق فى تفاعلات الأزمة تم التأكيد الرسمى على هذا الفصل وتأكد هذا على المستوى الرسمى بينما كانت تحركات دوائر الاعلام أساساً فى الاتجاه المعاكس وكذلك بعض الأحداث فى الفترة الأولى التى شهدت اعتداءات كثيرة وصارخة على العرب والمسلمين ، ولكن بدأت القيادة الأمريكية فى التدخل وحذرت من مغبة استمرار الاعتداءات ، وشهدت الساحة الأمريكية حالة أخرى من التعاطف من العرب والمسلمين الأمريكيين وانقسمت وسائل الاعلام بين إدانة العرب والمسلمين ومحاولة ترسيخ وتوجيه رد الفعل الأمريكى نحو أجندة صهيونية معادية للأمة العربية والإسلامية تهدف إلى إلحاق أكبر قدر من الضرر بالعرب

والمسلمين مستغلة لهذه الأحداث ، وبينما فُتحت أبواب الإعلام للتعبير عن وجهة النظر العربية الإسلامية وكذلك حدث نوع من المطالبة بإعادة تقييم الموقف والسياسات الأمريكية من قبل أقطاب من المفكرين والصحفيين الذين يريدون تبنى وجهة نظر موضوعية بعيداً عن ضغوط الأزمة والشحن المحموم من قبل دوائر « صدام الحضارات» كذلك سارع الرئيس جورج بوش إلى القيام بأول زيارة لرئيس أمريكى للمسجد الإسلامى واللقاء مع ممثلى الجالية المسلمة فى عدة سياقات وبشكل غير مسبوق وهو الأمر الذى أعاد شيئاً من التوازن المطلوب ، كما قام تونى بلير رئيس وزراء بريطانيا ووفود أوروبية بزيارات إلى المنطقة العربية للتأكيد على الفصل بين الحملة ضد الأرهاب والإسلام كدين لا علاقة له بالإرهاب والشكل ٢ المعبر عن رؤية لعناصر الخريطة الذهنية الممثلة لأهم عمليات إدارة الأزمة من منظور لغويات التفاوض ، تكتمل صورة سيناريوهات الصدام فى مقابلة سيناريوهات التعاون والحوار الحضارى فى شكل (١) وهو السياق السابق لتفاعلات ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ (Pretext) ويصور هذا الشكل عناصر استراتيجيات ادارة الأزمة الرئيسية من قبل مدير الأزمة الأمريكى أساساً والمتمثلة فى ثلاثة استراتيجيات رئيسية هي :

(١) استراتيجية التأكيد على فصل الاسلام عن الارهاب .

(٢) استراتيجية احادية اللغة (الامبراطورية) ومستوياتها ومباريات التفاعل التى تمضخت عنها .

(٣) استراتيجية الغموض وأنماطه وادارته فى الأزمة حتى مرحلة كتابة هذه السطور .

والعنصر التالى فى الشكل يتمثل فى سؤال تظل الاجابة عنه فى طى تفاعلات المستقبل وهى تتمثل فى تأثير الاستراتيجيات الثلاثة لإدارة الأزمة من قبل مدير الازمة الأمريكى على سيناريوهات «تحميل الصراع العربى الإسرائيلى» المشار إليها أصلا فى شكل ١) سيناريوهات التحميل ووضعية سيناريوهات الاسلام والغرب بعد أزمة سبمتبر .

ثـــم سيناريوهات تحـميل الصراع العربى الإسرائيلى ثم تحميل سيناريوهات العولمة .

ثم تحميل سيناريو افغانستان أولاً وتأثيره على الدول العربية الإسلامية خاصة فيما يتعلق بخطوات الحرب الجديدة على الإرهاب وإلى أى اتجاه ستكون عليه .

ثم يأتى الجزء الأخير وهو ما يتعلق بمكون التواصل «داخل الثقافات وعبرها ،

اللغة والفكر والثقافة وتأثير هذا البعد على ادارة الأزمة . «ثم يأتى المكون الأخير فى شكل ٢ وهو المتعلق بشكل النظام الدولى بعد أزمة سبمتبر أو «الحرب الجديدة» وأساليب صياغاته واتجاهاته .

يبقى للمستقبل أن يكشف عن الكثير من تفاعلات مكونات هذا الشكل . ولقد تفاعل الكاتب مع أحداث الأزمة مبيناً طبيعة التفاعلات التى تتعلق أساساً بالإستراتيجيات الثلاثة لمدير الأزمة الأمريكى وما تتطلبه من أجندة محددة لتقديم صورة لما هو مطلوب على صعيد التفاوض والحوار من قبل العالم العربى الإسلامى وما هو مطلوب كذلك من المفاوض الأمريكى من أجل إدارة كلية أفضل لمباراة التحالف ضد الإرهاب بمعناه الحقيقى على المستوى الدولى ككل .

كذلك تعرضت تفاعلات الكاتب لمكونات بعض سيناريوهات التحميل وكذلك تلك الخاصة بمكون التواصل داخل الثقافات وعبرها وتأثير العلاقات المتداخلة للغة والفكر والثقافة وتأثير هذا المكون داخل وعبر الثقافات على مسار الأزمة وتطورتها .

ولقد تجسدت تفاعلات الكاتب مع الأزمة فى إطار هذه المكونات فى مقالات صحفية وفى دراسة مختصرة أولية نقدمها مجمعة فى نهاية هذا الجزء فيمايلى :

(١) مقالة رؤية مستقبلية لما بعد أحداث ١١ سبتمبر

(الأهرام ٢٧ سبتمبر ٢٠٠١)

ويشير إلى ما يلى :

(أ) كيف أهتمت الإدارة الأمريكية بفصل «الإسلام عن الإرهاب» فى أول خطوات إدارة الأزمة وكيف سار الاعلام وبعض الوقائع فى الاتجاه المعاكس .

(ب) ما طبيعة السيناريوهات التحميلية فى إطار هذه الأزمة خاصة ما يتعلق بادارة الصراع العربى الإسرائيلى وربطه بسيناريوهات الإسلام والغرب ... وأهمية التعامل الإيجابى من قبل المفاوض العربى وماذا يتعين عليه القيام به فى هذه المرحلة المبكرة من الأزمة .

رؤية مستقبلية لما بعد أحداث ١١ سبتمبر

أحسن الرئيس مبارك والقيادة المصرية ومشيخة الأزهر والدول العربية ، الإسلامية بتقديم العزاء الواجب فى ضحايا ابرياء ، وفى كارثة إنسانية ضخمة ومفزعة بكل المعايير . كما أحسن كل من الرئيس جورج بوش ووزير خارجيته كولين باول عندما عكست لغة ادارتهما للأزمة التى تعيشها أمريكا وإلى الآن أسلوبا من الحكمة والتهدئة فى جو مشحون للغاية قامت فيه وسائل اعلام معروفة بتكرار أسلوبها فى التعبئة المحمومة ضد كل ما هو عربى ومسلم بل والزج بالاسلام «كسبب» فيما

شكل رقم (٢) : رؤية لعناصر الخريطة الذهنية الممثلة لأهم عمليات إدارة الأزمة وأنماط الحوار والتفاوض
الممثلة لعقل الأزمة من منظور لغويات التفاوض
النص السابق لوضعية سيناريوهات الإسلام والغرب

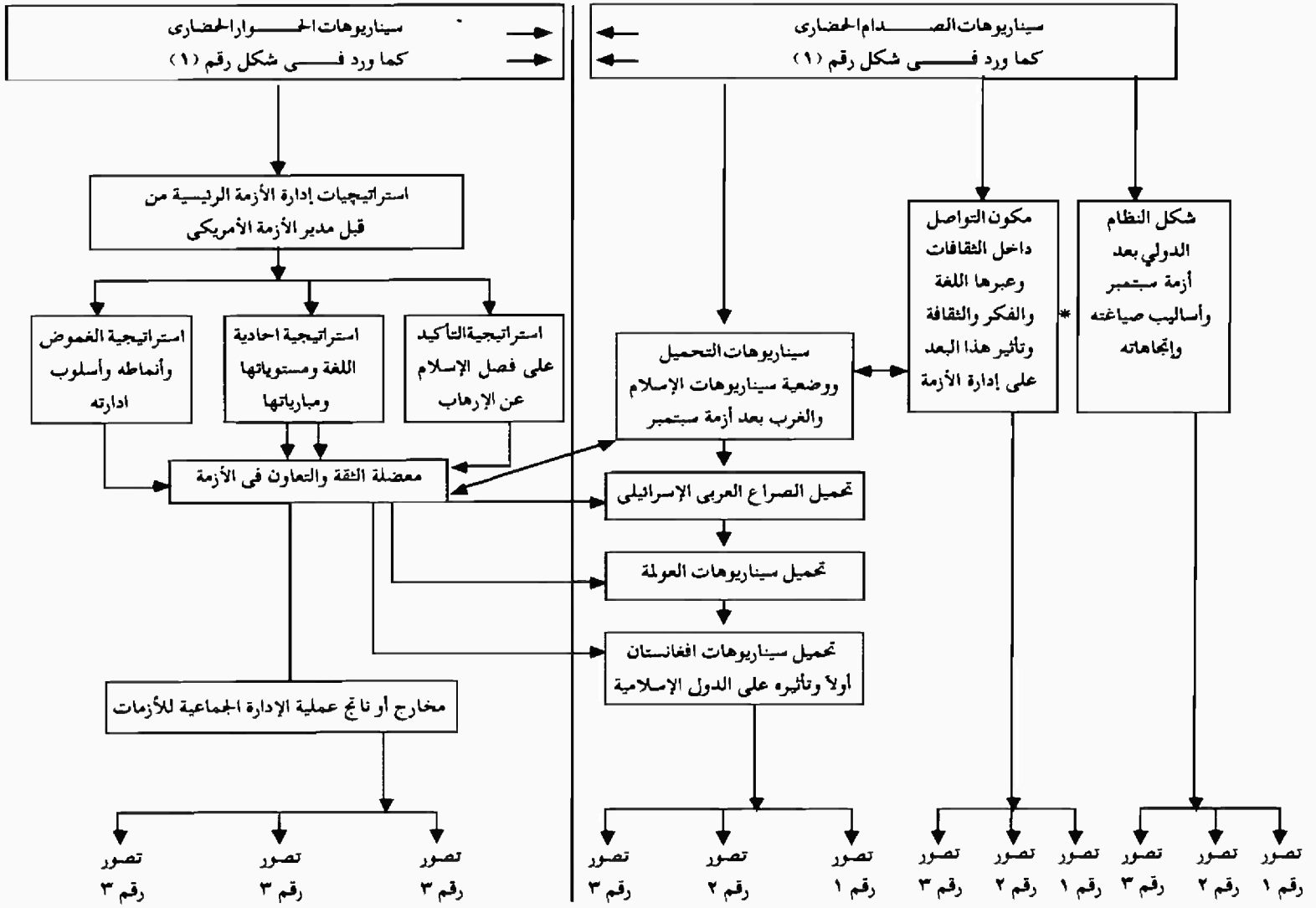

حدث من فواجع ، بينما لا تزال التحقيقات فى بدايتها . فلقد طالب الرئيس بوش الأمريكيين وبعد أن طالت الجالية العربية والإسلامية أحداث عشوائية وعدوانية : «لست بحاجة أن خبركم أن الآلاف من العرب والمسلمين يعيشون فى نيويورك وأن لهم حقوقهم الدستورية كمواطنين ، ولابد من معاملتهم بالاحترام المستحق وأن علينا الا نحمل المسلمين الأمريكيين ما حدث ...» .

وبالرغم مما قيل إلا أن حملة ترديف العرب والمسلمين للإرهاب لا تزال على أشدها ولا يزال مسار التحقيقات وأداء الاعلام يتحرك فى هذا الاتجاه مما يزيد من العبء على كاهل المفاوض الممثل للعالم العربى والإسلامى ، ولكن لا ينبغى أن يقع هذا المفاوض فى موقع الانشغال بالنفى والدفاع عن الإسلام والإستسلام للتفاعل فى إطار هذه الخانة التى يريد خصوم واعداء لنا أن يضعونا فيها ، بل لابد من أن يبادر المفاوض العربى إلى التحرك الإيجابى وأن يسهم بفاعلية فى طرح أجندة حيوية وإيجابية واستغلال فرصة هذه الأزمة التى ينبغى ألا ننظر إليها فقط فى إطار ما صرحت به دوائر دبلوماسية عربية بأنها «قد أصيب بالذهول والصدمة لنتائج وانعكاسات هجمات الطائرات الانتحارية ... واعتبرتها كارثة خلطت جميع الأوراق وبعثرتها » (كما ورد نص فى الصفحة الأولى بجريدة الشرق الأوسط ٢٠٠١/٩/١٤) ، فمثل هذه الرؤية إنما توحى بالشلل والانتظار غير المبرر مع كل الأسف .. فأين اذن تكمن الفرصة ؟ .. إن أى أزمة فى العالم بقدر ما تكون كارثة أو خسارة على طرف ما بقدر ما تكون كذلك بمثابة المكسب له بشرط أن يركز مديرو الأزمة على مواقع بعينها تأتى فى طيات وثنايا الأزمة ، فلا يتركونها إلا بالتوقف أمامها وتفعيل السياسات والأدوار المستجدة أو المعدة سلفا ، وفيما يتعلق بهذه التفاعلات فإن على المفاوض الممثل للواقع العربى الإسلامى أن يدير لصالحه ما يتعلق بما يلى كعناصر لأجندة ينبغى أظهارها وتفعيلها والتركيز عليها وهى :

* إدارة تفاعلات سيناريوهات «التحميل» الراهنة للصالح العربى والإسلامى .

لتوضيح المقصود بسيناريوهات «التحميل» هذه لابد من توضيح صورة لتفاعلات السيناريوهات فى الأزمة الممتدة والتى تحتدم من وقت إلى آخر من منظور تفاوضى ، (وهو الأمر الذى أضعه فى بحث تفصيلى فى يد معدى الندوة العالمية لحوار الحضارات الذى تقيمه الشقيقة المملكة العربية السعودية مشكورة فى نوفمبر القادم والذى دعيت إليه وتنظمه مكتبة الملك عبد العزيز بالرياض) . وأرجو توضيح الصورة باختصار هنا أرجو ألا يكون مخلا . فالصورة الذهنية للسيناريوهات هى كما يلى :

* سيناريو حاضن تم الدفع به فى ساحات التفاعلات الدولية منذ سنوات

مضت والهدف منه استحضار الإسلام ومعه العالم العربى والإسلامى ليكون موضع «صدام حضارى مع الغرب» وايصال الأمور لإحداث قدر من الاستعداء ضد العرب والمسلمين . ثم خرج من رحم هذا السيناريو «سيناريوهات إستهدافية أخرى» تمثلت فى عشرات السيناريوهات الخارجة من الدوائر الاكاديمية والاعلامية المرتبطة بصانع القرار على مدى السنوات العشر الماضية ومنها ما سمى بـ «سيناريو العدو الأخضر» الذى تردد على ألسنة من المسئولين فى حلف الناتو .. و«سيناريو الغواصات الإسلامية الذى وصف أعضاء الجالية العربية الإسلامية فى الغرب بأنهم جميعا «خطر كامن» على الغرب ، «وسيناريو نهاية الإسلام» والعياذ بالله وما إلى ذلك من العديد من السيناريوهات الحاضنة التى تمهد الطريق والذهنية الغربية نحو الاستعداد الكامن لأى مواجهة مع العرب والمسلمين . ثم يتم انتظار احداث بعينها أو يتم تدبيرها لكى يأتى ما أسميه بدور «سيناريوهات التحميل» والمتمثلة فى التحرك الفورى والسريع لاستغلال هذه الأحداث وتفعيلها على أرضية تم تمهيدها . ولقد رأينا كيف تحركت الدوائر الصهيونية لطرح «سيناريوهات التحميل هذه» لتوجيه مسار الرد الأمريكى على كارثة يوم الثلاثاء ٢٠٠١/٩/١١ ، فوجدنا شخصيات صهيونية معروفة تظهر على شاشات الـ B. B. C وقنوات التلفاز المختلفة وتكتب فى الصحف بما يفيد أن هذه هى «الحرب العالمية الثالثة» كما أفاد الكاتب المعروف بتوجهاته توماس فريدمان فى النيويورك تايمز فى ٢٠٠١/٩/١٣ وأنها لابد من أن تكون حربا فورية وطويلة الأجل وأن يتم التقنين لها دوليا ، وكانت مواقعها عند باراك أكثر من ست دول إسلامية وهى عند نيتانياهو ليست مواقع تقليدية «للدول المارقة» مثل العراق وافغانستان وباكستان وايران وليبيا بل أن عنده أن مصر وسوريا مثلهما مثل العراق فى نهاية المطاف .. وجاء شمعون بيريز ليضيف فى هذا الجو المشحون أن الفلسطينيين ينضمون إلى قائمة «الإرهاب» الذى ينبغى توجيه العمل الدولى المشترك نحو استئصاله ، وأن عليهم التخلى عن «الإرهاب» (والاستسلام التام للادارة الصهيونية) .

أنها سيناريوهات تحميلية يراد بها توجيه حركة الرد الأمريكى الساحق وطويل الأجل «لحيز العالم» ولضرب «قوى الشر والظلام» و«الإرهاب» و«منازلة» «الإسلام» ذاته من خلال فتح الباب أمام خريطة الدول العربية الإسلامية كلها وليكن ذلك على مدى حدده باراك بعشر سنوات كما حدث بالنسبة لقضية «قراصنة البحار» . ولا داعى لأن اذكره هنا بكتاب تشومسكى المهم بعنوان «القرصان والامبراطور وواقع الارهاب الدولى اليوم» والذى يفضح فيه تشومسكى مثل هذه اللغة فى قلب الحقائق وعموما فإن على المفاوض الممثل للواقع العربى الإسلامى أن يركز على ما يلى وبأسرع ما يكون .

* كشف النقاب عن «سيناريوهات التحميل» الخاطئة والمزيفة هذه من خلال القنوات التواصلية المتعددة ولدينا – سفارات ومكاتب اعلامية فى انحاء العالم لدول عربية وإسلامية . ولدينا قنوات فضائية بالإنجليزية وبلغات أخرى ولدينا منظمات عربية وإسلامية فى الخارج ولدينا فرصة أن أمريكا على الصعيد الرسمى تطلب منا العون فى مكافحة الإرهاب .

فعلينا توضيح استعدادانا للميل لفكرة مؤتمر دولى لمكافحة الإرهاب كما أبدت ذلك دوائر مصرية بل أن الرئيس مبارك والدول العربية كانت الأسبق فى الدعوة العالمية لمحافحة الإرهاب ولكن وفى ضوء الحكمة التى ابداها كل من الرئيس الأمريكى وكولن باول إلى الآن وعدم التأثر والتسرع بالدخول فى دوامة الحملة المحمومة ضد الإسلام ، فإن علينا التحديد العلمى والعادل لمفهوم الإرهاب وعدم خلطه مثلا بالحق المشروع للفلسطينيين فى مواجهة الاحتلال المؤسس على شريعة الغاب ، كذلك لابد أن يتحدد التعاون الدولى لمكافحة كل مظاهر الارهاب ورفض قتل المدنيين الأبرياء بأن يكون التحريم والتجريم كما فى حالة ما رأيناه من فاجعة انسانية فى نيويورك وواشنطن منطبقا على تحريم وتجريم القتل العشوائى وضرب وهدم منازل الفلسطينيين من قبل قوات احتلال غاشمة وبطائرات وأسلحة امريكية منها ما هو محرم دوليا أو بالاقدام على أى حوادث مماثلة من قبل أى طرف فى أى مكان بما فى ذلك الرد الأمريكى القادم .

اقامة رؤوس كبارى مع ما يمكننا تسميته بمنصات فكرية معتدلة وعادلة فى الغرب وعلى الأرض الأمريكية ذاتها فكما كانت هناك ارضية فكرية تم تمهيدها للسيناريوهات الخاصة والخارجة منها والتحميلية على صعيد «الإسلام كعدو» فهناك من ذات الغرب من لم يقتنع وطرح فى دوائر علمية وإعلامية سيناريوهات مضادة للصراع مع الإسلام فى الغرب ذاته وهنا فرض سيناريوهات « أى خطر اخضر ذالك » لليون هادار والعديد من سيناريوهات التعاون الدولى لأسماء كبيرة وشخصيات مهمة تؤكد طرح سيناريوهات معيارية تستهدف الحوار لا الصدام ، والمجال لا يتسع لسردها هنا وحجم العمل الكبير المطلوب بحاجة إلى تفاصيل أخرى .

ماذا يقول أكبر تجمع لخبراء المستقبليات فى العالم ؟

لعل من المفيد أن اختتم مقالى هذا بمقولة مهمة تدعو كل عاقل ومنصف فى امريكا والغرب للتوقف امامها والعمل بمقتضاها ، فالهدف هو خدمة صانع القرار الدولى فى مجال إيجاد الأرضية المشتركة للعمل على الأصعدة التى قد تتطلب التعاون الدولى وهنا أرصد ما ورد فى العديد من تقارير المشروع الألفى لجامعة الأمم المتحدة لإستشراف المستقبل والذى جاء فى آخرها ومن اعداد المجلس الأمريكى

للجامعة ما يفيد نصا وتحت محور الأخلاقيات الكوكبية وفى صفحة رقم ٣٧ من تقرير عام ٢٠٠١ عن حالة المستقبل فى العالم :

«إذا ما أخفقنا فى إيجاد نظام للاخلاقيات الكوكبية ، فإن صدام الحضارات سيكون هو الواقع المؤسف حقا» .

والقواعد التى دعت إلى هذا القول والتى اكدتها العديد من تفاعلات المؤتمرات الدولية لهذا التجمع من خبراء المستقبليات هى :

أ) أن العدل أساس الثمار والمكسب للجميع وأن تمثيل خبراء دول العالم دون هيمنة دولة بعينها ليؤكد صنع القرار الدولى المقنع للجميع وهو هنا يحقق التزام الجميع به .

ب) ان البحث العلمى وكذلك العلاقات الدولية المؤسس على نظام اخلاقى لا يتسم بإزدواجية التطبيق هو المحقق للعمل الموحد الفعال على أسس متكافئة .

جـ) أن العولمة المهيمنة والمتوحشة التى تزيد عن هيمنة الفكر الرأسمالى الأحادى لصالح الشمال ومزيد من التبعية والإخفاق فى التنمية وفرصها لدول الجنوب يفقد فى النهاية كل أمل لوجود مبارة غير صفرية ويؤكد هيمنة مباراة صفرية لصالح دولة أو جماعة بعينها مما يستتبعه انسانيا وصول أطراف ما لحالة من اليأس وإيجاد الظروف المواتية للرد على المباريات الصفرية بأسلوب صفرى يؤسس المناخ المواتى مع الأسف للرد على ارهاب من نوع خاص بارهاب آخر سواء من دول أو أفراد ، وهو الأمر الذى لابد من اعادة النظر اليه لمعالجة جذور الارهاب ، وهو الذى دفع بعض الجرائد والمجلات فى الملف الدولى الخاص بأحداث الانفجارات فى أمريكا لوصف الانفجار المؤسف لمركز التجارة العالمى «بانفجار العولمة» .

يبقى للحديث بقية وتفاصيل كثيرة ولكن يمكن للمفاوض العربى والإسلامى أن يركز النظر على قضايا بعينها لتكون أزمة وكارثة الانفجارات فرصة لإعادة الاعتبار لتنظيم البيت داخليا ولتنظيم البيت الدولى وفتح صفحة جديدة أساسها الحوار الحضارى الخلاق لا الصدام . وقطع الطريق على الفكر الصهيونى الذى لن يؤيد امريكا بل تخيل لو نجح هذا الفكر فيما يسعى إليه من إحداث جو من العداء تجاه الجالية العربية الاسلامية المكونة من ٦ ملايين عربى ومسلم فى امريكا ومعاداة أكثر من مليار مسلم بالتبعية فكم هى فرص عدم الاستقرار داخل امريكا من قبل ٦ ملايين من المسلمين الذين اصبحوا ينتمون إلى وطنهم الجديد ، ويخلصون له إذا تم تحويلهم على غرار ما حدث فى فيلم الممثل عادل أمام الشهير بعنوان «الإرهاب والكباب» ليتحول المواطن المسالم رغم أنفه ودون اختياره إلى ارهابى حقيقى حين يجد أن الآخرين لايدركونه إلا على كونه ارهابيا فقط .

ان الأحداث الأخيرة وتفعيل الدوائر الصهيونية لحالة الاستعداء والتعبئة ضد العرب والمسلمين فى غير مصلحة امريكا نهائيا داخليا وخارجيا .. كما أن البحث فى التحقيقات لما قد يكون لجهات مثل الألوية الحمراء أو الطوائف اليمينية الأمريكية كما حدث فى تفجيرات أوكلاهوما لابد أن يترك للوصول إلى الحقائق دون ابتسار أو افتعال كما أن العلاج الجذرى للارهاب لا يتمثل فى ضربة هنا وضربة هناك فهذا يجعله مستفحلا وليس مستأصلا ولقد أفاد بذلك الرئيس مبارك فى أكثر من مناسبة حيث أكد أن الارهاب أخطر الحروب وأن الجميع ينكوى بنيرانه . أن العلاج الجذرى يكمن فى مخاطبة أصل المشكلة وفى إيجاد نظام أكثر عدلا وأكثر احتراما لحقوق الغير وللخصوصية الثقافية والدينية وللتعددية وليس فى محاولة إلغائها وسحقها لأن هذه التعددية سنة من سنن الله سبحانه وتعالى فى هذا الكون ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ .

(٢) مقالين بعنوان :

* «فى فقة الأزمة الراهنة .... التسلط هو الأصل » .

(جريدة الوطن ٢٣ أكتوبر ٢٠٠١)

* «ثنائية التسلط المخل وتفاقم إدارة الأزمة» .

(جريدة الوطن ٢ نوفمبر ٢٠٠١)

* وتركز كل من المقالتين على لغة الثنائيات الأحادية والإطلاقية على صعيد مدير الأزمة الأمريكية وما استدعته هذه الثنائية أو ما التقت فيه مع ثنائيات بن لادن وأشياعه من الجماعات الراديكالية وشخصيات من الإسلاميين .

* اشارت هاتان المقالاتان إلى خلل فى التفاعلات الداخلية العربية العربية والعربية الأمريكية بخصوص حجم السلبية الكبير لتوظيف هذه الملامح الثنائية الاطلاقية على ادارة مبارة التحالف بين أمريكا والدول العربية الإسلامية متعرضة إلى ملمح قوى معبراً عن هذا الخلل فيما دار من حوار بين عمدة نيويورك والوليد بن طلال حيث تجسدت تأثيرات وتداعيات هذه اللغة الثنائية على أحداث وتفاعلات مهمة من تفاعلات هذه الأزمة فى مراحلها المبكرة .

في فقة الازمة الراهنة ... التسلط هو الاصل

يستحق الحدث التفاعلى المهم فى دلالاته بين الأمير الوليد بن طلال وعمدة نيويورك التوقف بالتحليل أمامه حيث قرر الأخير إعادة شيك العشرة ملايين دولار الذى كان قد أرسله الوليد بن طلال آل سعود إلى نيويورك كمساهمة منه فى مساعدة أسر ضحايا الهجمات الإرهابية ، ولم ينظر إلى هذه الإيماءة المتحضرة من زاوية أنها تدل على شجب الإرهاب ومواساة أهالى الضحايا وبناء الجسور الإيجابية

بعد حادث الحادى عشر من سبتمبر المؤسف ، بل تم تخطى كل هذه الدلالات الواضحة ليعبر العمدة عن غضبه من ملاحظات الوليد بن طلال التى طالب فيها الولايات المتحدة بأن تعطى المزيد من الاهتمام بالقضية الفلسطينية .

وبتحليل ملف الحوار التفاوض الذى دار على جانب عمليات الإدارة الجماعية (لأزمة سبتمبر ٢٠٠١م) على الجانبين الأمريكى والعربى فيما يسمى بدبلوماسية المسار الثانى ودبلوماسية الإعلام ، يمكننا القول بأن هذا الحوار بين الوليد وعمدة نيويورك ليس إلا أحد تجليات أو تنوعات نمط من أنماط الحوار الضاربة فى عمق هذه الأزمة ويمثل إشكالية ممتدة من سياقات تفاعلية سابقة لأزمة الحادى عشر من سبتمبر) ومتتدة ومتجذرة ومتطورة فى أهم تفاعلات هذه الأزمة إلى الآن .

وهذا النمط هو نمط الحوار التسلطى ، وهو الممثل لأكبر مستويات العوائق السلبية لإتمام عمليات التفاوض المرتبطة بمحاولة إدارة الأزمة وإيجاد المخرج الأفضل والأقل سوءا للجميع . ولقد استعرضت بكثير من التفصيل تنوعات وأشكال وتجليات هذا النمط عبر الثقافات فى كتابين لى أولهما (مقدمة فى علم التفاوض الاجتماعى والسياسى) وكتاب (سيناريوهات الحرب والسلام) . وهذا النمط وملامحه المتعددة هو أصل فساد أى حوار ، ومن يوظفه لا يمكن أن يكون مفاوضاً ناجحاً . وأسباب الوصول إلى حالة التسلط عديدة ومن لم يعالج نفسه منها ويتجنب أسبابها فإنه لاشك يزرع بذرة سيئة لا تستحضر إلا تسلطا فى المقابل أو يتسبب فى أن يأخذ التفاعل مراحل من القنوط ومللا من القهر ، الأمر الذى قد يولد لدى البعض خاصة من ذوى العقليات ذات الطبيعة المنغلقة على ذاتها قناعة راسخة بممارسة العنف كعلاج لحالة المتسلط الذى لا يجدى معه حوار أو تفاوض سواء كان هذا الأمر فى سياق اجتماعى أو سياسى أو خلافه ، وهذا أمر يحدث فى أى ثقافة وفى كل ثقافة .

السياق الأسبق أو الأول للحدث التفاعلى

وإذا عدنا لتفاعلات أزمة الألفية الثالثة لوجدنا أن السياق الأسبق وقبل وقوع التفجيرات فيما يتعلق بحوار العرب والمسلمين مع الولايات المتحدة وفى أكثر من قضية مصيرية ومن أهمها القضية الفلسطينية ، لوجدنا أن الإدارات الأمريكية المتعاقبة لم تبدأ التفاهم أو التعاون المطول كقوة لها دور قيادى فى هذا العالم بل على العكس وظفت وعلى مدى السنوات الماضية أسلوباً تسلطياً عميقاً وساندت إرهاب الدولة الإسرائيلية التى حولت التسلط إلى ما يتخطى العبارات والكلام ليصل إلى هدم المنازل وحرق الزرع وممارسة التهديد والوعيد ليس للفلسطينيين بل للعالم العربى والإسلامى كله ولكل من تسول له نفسه نقد هذه الممارسات الإسرائيلية الصارخة

التى وصلت إلى حد غير مسبوق فى تحدى المشاعر الدينية للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها . كانت هذه الأوضاع الآخذة فى الغليان هى السياق السابق لأوضاع سائدة قبل انفجارات الثلاثاء الأسود الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م ولكن ماذا كان رد فعل العرب والمسلمين على الرغم من ذلك ، كان رد الفعل الواضح على المستوى الرسمى والمستوى الشعبى ومستوى الجالية العربية المسلمة فى أمريكا هو المسارعة بالتعبير عن الإدانة للإرهاب والمواساة للأمريكيين ، لأن الإسلام يعنى السلام ويعنى إدانة الإرهاب وقتل الأبرياء من النساء والأطفال والرجال والشيوخ ، وما حدث ضد الحضارة ، وعندما أشارت أصابع الاتهام إلى أن عرب المسلمين هم الذين قاموا بمثل هذه التفجيرات الإرهابية كان الاستنكار من رجال الدين الإسلامى ومن مشيخة الأزهر ومن المملكة العربية السعودية والعالم العربى والإسلامى كله ، فالله سبحانه يخاطب نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم قائلا فى محكم آياته : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، حتى وإن كان المسلمون فى حالة حرب فرضت عليهم فيمنع عليهم قتل الأبرياء أو حرق الشجر أو أى نوع من أنواع الإفساد فى الأرض وأن يحسنوا معاملة الأسرى .

فلا شك أن ما حدث فى نيويورك وواشنطن من تفجيرات مدان إسلامياً فالسياق الثانى والثالث ومشكلة افتقار المتابعة ؛ عندما يفتقر المتحاوران إلى الإحساس بالسياقات الأساسية وأطرها التفاعلية فى حسب ورودها لساحة الحوار والتفاوض فى الأوقات العادية أو فى أوقات الأزمات خصوصاً تظهر مشكلات التفاعل الكبيرة بين المتحاورين وهذه قضية تتعلق بتقنيات الحوار وآلياته المتقدمة لدى الكثيرين مع الأسف ، فى الحوار داخل وعبر الثقافات فإذا كانت أحداث الانفجارات المؤسفة لمركز التجارة العالمى ومبنى البنتاجون هى سياق ما حدث فلم يتلق الأمريكيون من العرب والمسلمين سوى العزاء والمواساة الفورية ، ولكن فى عز صدمة الأزمة دفع الأمريكيون بإطار آخر لسياق التفاعل وتمثل فى المطالبة بحشد وتنظيم تعاون دولى لمحاربة الإرهاب واستئصاله فأصبح السياق أو إطار التفاعل المستجد والمزاحم لإطار العزاء والمواساة الجديد هو التفاوض فيما يسمي فى فعاليات الأزمة بمباريات التحالف والتى أصبحت الولايات المتحدة تديرها مع دول العالم قاطبة ، وظهر هذا الإطار أو السياق للحدث التفاعلى المستجد واجهة الأحداث ليتصدر تركيز وإهتمام كل متلق لتفاعلات الأزمة وكان منطقيا أن يلح السؤال ما هو المطلوب الآن بعد العزاء ؟

ولقد حدث هذا الإطار المستمد فور الأحداث مباشرة وبشكل كاد أن يكون متداخلاً مع حالة ووضعية تلقى العزاء والمواساة ، فكان طبيعياً جداً لمن يطلب

التحالف منه لمواجهة الإرهاب أن يسأل: وهل الإرهاب لا يزال هو التعريف الغريب للغاية المعروف لدى أمريكا والذى يستثنى بفظاعة منقطعة النظير الإرهاب الإسرائيلى ؟! وهو تعريف سابق للانفجارات بسنوات . ولقد انتقد بشدة المفكر المعروف وعالم اللغويات الشهير نوم تشومسكى فى كتابه الرائع بعنوان القرصان والإمبراطور وواقع الإرهاب الدولى والذى قص فيه الإسكندر الأكبر حينما كان يقبض على القراصنة ليطهر البحار من شرورهم ، وعندما قبض على أحدهم وقف فى السفينة الكبيرة للإسكندر مكتوف اليدين وقال : أنا أقاوم بما أقوم به بسفينتى الصغيرة فيسموننى بقرصان أما أنت فتفعل نفس الشيء ولكن بأسطولك الكبير فيسمونك الإمبراطور ، وخرج تشومسكى من هذه القصة ليقول : إن أمريكا وإسرائيل تقوم بعمل القرصان اليوم ولكن بالأساطيل والطائرات وإن ممارستها لا تعدو أن تكون سوى من نوع إرهاب الدولة وإن حالة الازدواجية فى المعايير والمفاهيم فيما يتعلق بالإرهاب عالم اليوم . ولاشك أن رؤية تشومسكى يشاركه فيها آلاف من الباحثين المحترمين والمنصفين فى عالم اليوم ، ولا شك أنها تعبر عن القناعة الراسخة للعرب والمسلمين فى نظرهم لأمريكا وإسرائيل ، فكان من الطبيعى للغاية أن يستدعى كل متفاعل مع سياق الأحداث أسئلة عديدة مثل : هل سنتحالف مع أمريكا لمقاومة الإرهاب الذى ندينه جميعاً أم ينبغى الآن .. الآن وليس غداً توضيح المقصود بالإرهاب على أساس عادل ومنطقى وجماعى ؟

ثنائية التسلط المخل وتفاقم إدارة الأزمة

فى خضم مئات المقالات والمقابلات المتلفزة ظهر الكثير من المثقفين العرب وبعض من القيادات العربية خاصة تلك المقابلات التى أجريت مع الرئيس حسنى مبارك فى الإعلام الغربى حيث طرح ما كان يدور بخلد المثقف العربى أو رجل الشارع على السواء من أسئلة وقضايا مطلوب طرحها على الجانب الأمريكى بجانب العزاء والمواساة وإدانة الإرهاب ، وفى هذا الخضم من التفاعلات تخرج علينا كتابات ومقابلات متلفزة تطرح على الجميع ألا يخوضوا فى «لكن» وتتهم المثقفين العرب بأنهم جنرالات مقاه يخوضون فى لكن !! وفى نقاط وأسئلة يعتبر الخوض فيها تضييعاً للوقت ومغازلة للإرهاب وهذا سيء جداً لهم والأجدى أن يختاروا اليوم بين أن يكونوا مع (أمريكا) أو مع (الإرهاب) !! مع الأسف الشديد إن مثل هذه الآراء لا تدير أزمة بل إنها تكرس نمط التسلط فى الخطاب الأمريكى وهو النمط الذى حاول الرئيس بوش ووزير خارجيته الخروج منه فى عدة مواقف جيدة فى إدارة الأزمة وكان ينبغى تشجيعها وتشجيع كل ما يساعد أمريكا والعالم أجمع على الخروج الأفضل من براثن هذه الأزمة الخطير ، فما فائدة المثقف الفعلى إلا إذا صارح صانع القرار بكل الإلتزام والاحترام لشخوص الجميع بما هو أجدى وأفضل وفى إطار هامش هو موجود دائماً بعيداً عن الإغضاب والغضب . ولكن اختارت هذه

الآراء أن تكون صدى لنمط التسلط الذى أقره بمثابة تنبيه فى الخطاب الأمريكى وهو النمط الذى يعد بمثابة مصيبة تفاعلات ما قبل الأزمة ومصيبتها الآنية والمستقبلية كذلك لأنه ليس فقط بمثابة ترسيخ للتسلط المرضى الذى أدى ويؤدى إلى كوارث بل لأن توظيفه واستخدامه خاصة من قبل المثقفين فى هذا العالم يحرمنا من المحاولة الجادة لاستنهاض خطاب تفاوض محترم وجديد من شأنه الإسهام الفعال فى الخروج من براثن هذه الأزمة ، لما هو فى صالح أمريكا ولصالح الجميع ولصالح قطع الطريق على الإرهاب وعلى العنف الذى ولا شك يتولد من التسلط فى الأساس .

المشكلة اليوم أن «نوعية كتابات «بن لكن» هذه تزداد وتنتقل كعدوى الجمرة الخبيثة وبالنظر إلى ملف الأزمة نجد أن بداية هذه الكتابات كانت فى مقال بعنوان «من غير لكن» بصحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ١٧ سبتمبر ٢٠٠١م ثم تبعها مقال آخر لنفس الكاتب بنفس الصحيفة بعنوان «جماعة بن لكن» بتاريخ ٢٦ سبتمبر ، ثم مقال آخر لكتاب آخر بعنوان «بن لادن وبنو لكن» فى نفس الصحيفة بتاريخ ١٣ الشهر الجارى ، ثم انتقلت عدوى (بن لكن) فى مقال الأهرام بعنوان مصلحة مصر وجماعة بن لكن فى ١١ أكتوبر ٢٠٠١م ، ولكن المقال الوحيد الذى انتقد منطق الثنائية هو مقال «معنا أم مع الإرهاب» على طريقة كتابات جماعة (بن لكن) الفعلية ، كان للأستاذ سلامة أحمد سلامة بعنوان الذين يعارضون ولكن بتاريخ ٢ أكتوبر ٢٠٠١م .

خلاصة القول فى هذا السياق أن مشكلة نمط التسلط المتجسد فى ثنائية معنا أم مع الإرهاب قد ولّد على صعيد تفاعلات الأزمة نمطا مقابلاً يزيد من حدة الأزمة ولا يساهم فى إدارتها إيجابياً وهذا ما رأينا فى تفاعلات مثل تلك التى حدثت فى باكستان وتجسدت فى خطاب (مولانا فضل الرحمن زعيم جمعية علماء الإسلام الباكستانية والمؤيدة لـ «طالبان» حيث وجه كلامه أمام آلاف من انصاره لزعماء الدول العربية والإسلامية قائلا : إما أنتم مع أمريكا أو مع الإسلام وهى ثنائية تسلطية هى الأخرى وبدائية ولا ترقى لتعقيدات الأزمة وتركيبها وإدارتها على النحو الذى يصل بالعالم إلى بر الأمان بعيداً عن حالات الاحتقان ومزيد من الاستعداد لحروب الهوية وصدام الحضارات التى لن يستفيد منها طرف بل الخاسر سيكون الجميع فى نهاية المطاف .

وفى إطار تطور سياقات أحداث الأزمة كما حاولنا تقديمها يتضح ما يلى :

* أن الوليد بن طلال بتعليقه على أهمية أن تهتم الولايات المتحدة بالسعى لحل القضية الفلسطينية وهو يؤدى واجب العزاء فى ضحايا أبرياء لم تجسد إيماءة

حضـارية فقـط بل إنه قد خرج عـن إطـار خطاب الثنائية البدائية التى تجسدت فـى خطاب الأزمة الأمريكية إلى اليوم . وخرج بالتالى إلى حيز «لكن» المشروعة .

* أن سلوك عمدة نيويورك بالإضافة إلى ما يتحلى به من صهيونية وكراهية لن يرى حلاً عادلاً لقضية فلسطين وهذا معروف عنه إلا أنه قد ركن إلى نموذج خطاب الأزمة المؤسس منذ بدايتها والذى نصحت به كذلك كتابات «بن لكن» العربية التى أشرنا إليها . وخطاب لا يمكن قبوله لأنه يشكل حجر الأساس فى شـيوع ظاهـرة الإرهـاب الفكرى المتجسد فى ثنائية التسلط المخلة التى أوضحناها ، والتى تمثل البداية المنطقية لاليات حوارية أخرى تتأسس على ممارسة الظلم ، والكذب ، وخلط الأوراق وإبقاء القضايا المصيرية معلقة ، دائماً لصالح أجندة المصالح الأنانية التى ترتكب باسمها أبشع الجرائم سواء كان هذا فـى بلد من بلدان العالم الثالث أو فى بلد أوروبية أو فى أمريكا أو فى أى مكان فى العالم .

إن مشروعية لكن فى خطاب الأزمة الأمريكى المبنى على أساس التبسيط الثنائى المختل هى مفتاح من مفاتيح استنهاض خطاب الخروج من الأزمة وتدشين لغة جديدة فمشروعية (لكن) هذه تتأكد مما ذكره الأمين العام للأمم المتحدة كوفى عنان الذى عقب على حوار الوليد وجولياني قائلاً : (إننى أندهش لرفض عمدة نيويورك لتبرع قدمه الوليد بن طلال الذى حث الولايات المتحدة على إعادة التفكير فى سياساتها فى الشرق الأوسط فى ضوء ما حدث من هجمات إرهابية فى الحادى عشر من سبتمبر ... وأضاف لدينا جميعاً الحق فى التعبير عن آرائنا وأن الأمير قد أبدى رأيه وأنا مندهش لرد فعل عمدة نيويورك العنيف ورده لتبرع الأمير ...) وكرر عنان ما طالب به الأمير قائلاً : (إنه سيواصل جهوده لوقف أعمال العنف وإعادة الإسرائيليين والفلسطينيين إلى طاولة المفاوضات) .

إن الأمل فى إدارة هذه الأزمة وتوابعها أن ينهض الجميع فى أمريكا وخارجها لوقف تفاعلات خطاب التسلط وملامحه التى تؤدى إلى العقم وتفاقم الأزمة وتوابعها ... إن الأمل يتمثل فى الكفاح من أجل استنهاض خطاب ولغة تفاوضية إيجابية جديدة داخل الثقافات وعبرها . وهناك إيجابية تبدو وكأنها الضوء فى نهاية النفق مما نراه من مظاهرات ضخمة فى كل عواصم العالم أوروبية وأمريكية وعربية وإسلامية تنادى بوقف استمرار الحرب وهناك بوادر مناخ جديد ، خاصة فى أمريكا ، تبحث فيه بصدق عن مخرج عَقلانى وأخلاقى للأزمة ولقد عبر ٨٥٪ من الشعب الأمريكى الذى أصبحوا من أولاد (لكن) فى استطلاع ورد بمجلة نيويورك مؤخراً قد

عبروا عن رأيهم حينما ربطوا بصريح العبارة بين ما حدث فى ١١ سبتمبر وبين مواقف أمريكا فى قضية الشرق الأوسط وأن ٤٦٪ من الشعب الأمريكى يطالبون بأن تقوم أمريكا بإعادة سياساتها فى تلك المنطقة المتفجرة .

والأمل ألا نيأس وألا نخاف وأن تتكاثر جهود الأفراد والجماعات والدول من أجل مستقبل للحوار الحضارى والسلام العادل .

(٣) دراسة قصيرة بعنوان : قراءة فى عقل الأزمة : الدبلوماسية الشعبية والحوار حول إدارة الأزمة الراهنة بالغموض .

وتحدد هذه الدراسة الأنماط الستة للغموض فى هذه الأزمة وأثارها السلبية على ادارة مباراة التحالف ودور الدبلوماسية الشعبية فى التأثير على ناتج تفاعلات الأزمة لتكون فى صالح الجميع والمباراة غير الصفرية .

قراءة في عقل الأزمة : الدبلوماسية الشعبية والحوار حول إدارة الأزمة بالغموض

طالبت الكثير من الدوائر الغربية والأمريكية خصوصاً من المثقفين والمفكرين والسفراء فى أمريكا وبريطانيا على صفحات الجرائد العربية ، الباحثين والمفكرين والمعنيين فى العالم العربى والإسلامى بالإدلاء بآرائهم والدخول فى حوار مع الغرب من أجل الاستفادة فى إدارة الأزمة الراهنة واحتواء تداعياتها (راجع مقالات لتونى بلير بجريدة الحياة اللندنية ٢٠٠١/١٠/١١م وللسفير الأمريكى إدورد وولكر بنفس الجريدة ٢٠٠١/١٠/١٦) وللسفير مارك غينسبرغ بالشرق الأوسط (٢٠٠١/١٠/٢٦) وكان آخر ما قرأته فى هذا الصدد مقالا للسفير هولبروك (٢٠٠١/١١/١) بالشرق الأوسط ، وفى هذا الإطار تأتى هذه المشاركة فى إطار محاولات الدبلوماسية الشعبية لإدارة تبعات هذه الأزمة وتحليل استراتيجيات التفاعل كما ورد فى المراحل الأولى من الأزمة بغية استخلاص الدروس ووضع أجندة لتحرك المستقبلى . ويهمنا هنا أن نبدأ بتحليل أهم استراتيجية تواصلية تم توظيفها فى المرحلة الأولى للأزمة على صعيد مدير الأزمة الأمريكى وهى استراتيجية الغموض متعدد المستويات .

ولقد تناولت بالتحليل العلمى أنماط الغموض السلبية والإيجابية فى إدارة الأزمات فى سياق سابق[1] وجاءت أزمة الألفية الثالثة التى نعيش وقائعها لنلاحظ كثافة عالية لتوظيف الغموض بمستوى غير مسبوق فى تاريخ الأزمات الدولية الكبرى خاصة فى إطار ومعايير إدارة مباريات التحالف (Alliance Games) التى من المفترض أن أمريكا تتبناها وتديرها بصفتها اللاعب الدولى الرئيسى المتضرر من

(١) راجع لكاتب السطور مقدمة فى علم التفاوض الاجتماعى والسياسى ، عالم المعرفة الكتاب ١٩٠ – الكويت .

الهجمات الإرهابية فى سبتمبر ٢٠٠١م ولعل من المهم أن نرصد ونناقش هذه الأنماط فى هدوء علمى لنستوضح صفة السلبية فى إطار مباريات التحالف وهى :

اولا: الغموض المصاحب لتوظيف إستراتيجية لغويات اورويل او اللغة الاحادية التوجه والمتمثلة في «معنا ام مع الإرهاب»

لقد أثار هذا النمط – رغم وضوحه على المستوى السطحى – غموضاً على المستوى الدلالى العميق ، حيث خانة الإرهاب المعرف أمريكيا فقط قبل أزمة سبتمبر والذى يستثنى إرهاب الاحتلال الإسرائيلى هو الأمر الذى جعل شبه إجماع عربى على التوقف عنده بغية التوضيح وذلك الغموض من خلال «لكن المشروعة فى أى حوار تفاوضى» .

فالمشكلة الأساسية إلى اليوم أن التعريف الأمريكى الأسبق للأزمة لا يزال هو المفهوم الحاكم فى إدارة أمريكا لمباريات التحالف والمطلوب من الدول العربية والإسلامية أن تقبله !! ولقد قدمنا رؤية تحليلية تفصيلية للغة ثنائيات الاختزال المخل فى تفاعلات هذه الأزمة (جريدة الوطن السعودية ٢٠٠١/١٠/٢٣) و (٢٠٠١/١١/٢) وذلك على صعيدى التفاعل ولكن نشير على وجه السرعة هنا إلى أن هذه المقولة الغامضة قد تم تناولها بالتحليل عبر دول العالم المختلفة من باكستان إلى إيران إلى فرنسا ومن قبل مفكرين محترمين فى أمريكا مثل تشومسكى وروبرت فيسك ولعل آخر ما أطلعت عليه كان مقالاً مميزاً للكاتب بيجان بيرسيا بعنوان «من لا يطيع سيدمر» !! واصفاً هذا النمط بأنه ضد الحوار التفاوضى فى أزمة مركبة كتلك التى نعيشها[1] خاصة فى إطار مباريات التحالف ولاشك أنه من الناحية الأخرى قد عمق الثنائيات الإطلاقية مثل «الكفر والإيمان» و«الحق والباطل» و«الإسلام ضد الغرب» على صعيد خطاب بن لادن وأشياعه .

ثانيا: غموض مفهوم «الحرب الممتدة» والمستهدفة من الإرهاب:

عندما أقر جورج بوش بأن الحرب المعلنة ضد الإرهاب مختلفة ومن نوع غير مسبوق لم يحدث من قبل ، ودعا الشعب الأمريكى للمثابرة لشن حرب من نوع جديد لمدة طويلة حتى «يستأصل الإرهاب» ، بدأ الغموض يزداد فاستئصال الإرهاب دون سياسات واضحة وبمعايير مشروعة متفق عليها – خاصة فى إطار مباريات التحالف ، تضع الكثير من عاملات الاستفهام على حجم الغموض فيما يتعلق بالهدف والمستهدف فعلاً من هذه الحرب بل جعل فكرة التحالف هى الأخرى تميل ناحية الغموض فى تلك المرحلة من الأزمة خاصة بعد وقائع قصف الأهداف المدنية بحجة أن طالبان تختبئ بها مما جعل المنتج النهائى وكما ورد فى مقالات رأى

(١) مقال من على شبكة الانترنت H TTP: //MONKEY. COM بتاريخ ٢٠٠١/٩/٢٣م بعنوان Those who don't obey shall be destroyed by Bijan parsia.

عديدة فى الغرب وفى العالم الإسلامى يساوى قتل مئات من الأبرياء وتشريد شعب بأكمله ... فأصبحت معالجة أخرى تنحو فى إتجاه حلقة جهنمية ومؤسفة .. وكان يمكن تجنبها (راجع فى هذا الصدد مقال شوازنجر المؤرخ الأمريكى «القصف الأمريكى العشوائى» الشرق أوسط ٢٠٠١/٩/٣٠م راجع كذلك مقالاً مهماً Rob-ert fisk بعنوان «كيف يمكن للولايات المتحدة أن تقصف هذا الشعب المفعم بالمآسى» ؟ (راجع موقع الإنترنت HTTP:/WWW. ZMNG: ORG/FISK BOMB.HTM أضاف لهذا أن غموض الجزء الآخر من الحرب التى أعلن أن شعارها هو «أفغانستانُ أولاً» تمثل فى الإعلان بأن هناك ما يقرب من ٦٠ دولة قد تستهدف مستقبلاً كلما دعت الحاجة إلى ضرب الإرهاب أو من يموله أو يرعاه حسب «أدلة واشنطن» والتعبير باللغة الإنجليزية كان بالفعل (HAR BON) بمعنى يأوى أو يكتم أو يضغن أو يكن من غموض مفهوم الإرهاب كما ذكر ومعاقبة المشتبه فيه وليس للمدان بأدلة قطعية الثبوت والدلالة ... ولقد زاد الغموض السلبى عندما صرح جورج بوش بأنه ليس هناك دولاً عربية مستهدفة بعد أفغانستان ، بينما صرح نائب وزير الخارجية الأمريكى بأن ضرب دول عربية وارد لدى الإدارة فى وقت لاحق .. وأن لا شىء مستثنى فى هذا الصدد ، وهو الأمر الذى ألقى بالمزيد من الغموض على مفهوم «التحالف» مرة أخرى ... هذا بالرغم من وضوح إدانة كل الدول العربية والإسلامية للأحداث الإرهابية فى واشنطن ونيويورك تأييد فكرة التحالف الدولى لإستئصال الإرهاب .

ثالثاً: المدة الزمنية المعلنة وغموض مستقبل الاقتصاد الدولي واقتصاديات الدول العربية والإسلامية والحريات المدنية :

لاشك أن الجميع قد خسر على الصعيد الاقتصادى ولاشك أن الحريات المدنية قد تقلصت أو هكذا ستكون عليه الأمور حتى فى المجتمع الأمريكى وكذلك أنشطة السياحة والطيران وتقدر الخسائر الأولية بما يقرب من ٤٠٠ مليار دولار على مستوى العالم على أقل تقدير ... لكن الغموض الحقيقى هو أن يكون هناك استهدافاً غير مبرر لقطاع الاغاثة الإسلامية والجمعيات الخيرية وجمعيات القطاع المدنى بل أن ملف عملية تجميد الأموال وإجراءات متابعتها وما قد يتبع ذلك من تأثيرات يكتنفه الكثير من الغموض السلبى .

الخطر فى غموض القرار ١٣٧٣

تمكنت الولايات المتحدة فى هذه المرحلة الأولية من هذه الأزمة الدولية من استصدار قرار من مجلس الأمن (١٣٧٣) لعام ٢٠٠١م بتشكيل ما سمى بمجموعة العمل الدولية والتى لها صلاحية استصدار قرار بتجميد الأموال للأشخاص والمنظمات الدول .. وعدم التنفيذ قد يجلب العقوبات على الدول الممتنعة عن تنفيذ قرارات هذه المجموعة فهو أمر خطير إذا كانت الأمور بلا أدلة ثبوتية أو

لعدم وجود قناة دولية للطعن فى أى قرار قد يكون غير منصف أو لا أساس له من الصحة أو قد تدخل فيه السياسى على الأمنى .

ولقد نُشرت مؤخراً فى جريدة الوطن السعودية دراسة عن هذا الموضوع فى ٢٠٠١/١١/٢ وأثارت السؤال التالى : هل يهدف الائتلاف الدولى لضرب الاستثمارات الإسلامية فى العالم ؟ وعبرت الدراسة عن القلق المتزايد حول مستقبل المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية خاصة بعد أن ازدهرت فكرة الاقتصاد الإسلامى ونموه بمعدل ٤,٥ ٪ والتحضيرات التى تمت نحو إنشاء الأسواق المالية المشتركة وبعد أن تحول الميزان التجارى من عجز ٢٠ مليار دولار إلى فائض ٦٦ ملياراً وبلغ حجم أصول المصارف الإسلامية ١٥٠ مليار دولار فى أربعين بلداً .

رابعاً : الغموض الناشئ عن تعدد التوجهات فى الإدارة الأمريكية للأزمة

هناك بعد مهم وارد فى أى أزمة وقد يتسبب فى إحداث غموض كبير فى عملية إدارتها وفى طبيعة القرارات التى تتخذ ، وهذا البعد يتمثل فى احتمال وجود انقسام أو استقطابات فعلية وليس مجرد توزيع للأدوار فهناك وفى إعلام الأزمة بالفعل من فرق إدارة الأزمة الأمريكية صقور وحمائم وهناك مؤيدون لسيناريوهات إسرائيلية ونبوءات دينية للمسيحيين الصهاينة وهناك أيضاً من يريد القول بأنه لا يمكن أن يسمح بأن تهدد إسرائيل أمن أمريكا وتعبث بأجندتها ومصالحها ولابد من إيقاف هذا العبث حتى وإن ظلت إسرائيل هى الحليف الإستراتيجى الأساسى الذى يجد خصوصية التعامل معه والتى لا يحظى بها أحد ، وهناك من قد يصل إلى حد إعلان حرب على الإسلام بعد الشيوعية واعتبار الإسلام رديفاً للإرهاب – ظلماً وعدواناً – وهناك من يفصل الإرهاب عن الإسلام عن قناعات أو كسياسة معلنة فقط ، وهناك من يريد أن يستنهض خطاباً أمريكيا جديداً يليق بقيادة أمريكا يفصل فعلاً الإسلام عن الإرهاب وهناك من يزداد توحشاً وعودة إلى المكارثية والقمعية وتفعيل لغة القوة بكل معانيها متجاهلاً أن هذه الرؤية الخاطئة كانت وراء انهيار الإمبراطوريات وترهلها فى نهاية المطاف بعد أن تستغرق نفسها فى هذا الإطار (OVER EXTENSION) وهناك من يرى فى الانعزالية والانسحاب من موقع إدارة العالم حل ... والغموض المتمخض عن احتمال وجود صراع أو استقطاب هو مستوى من مستويات غموض إدارة هذه الأزمة الذى ينبغى مراقبته واعتباره وإلى أين يتجه فى المراحل القادمة ، وأهم من ذلك أن نفعل ما لم نفعله إلى الآن مع الأسف الشديد وننادى به دائما ... وهو التدخل بمستويات متعددة فى شكل مبادرة إيجابية على مستوى دبلوماسية المسار الثانى الشعبية أساساً ، خاصة من القادرين على التوصل الفعال مع الإعلام الغربى الذى يمكن استخدامه بل أنه بحاجة فى هذه الأزمة إلى الوصول إلى أكبر عدد من الخبراء للحديث عن الإسلام وعن هذه الأزمة بعيداً عن إعلان القائمة المعروف بالخبراء التقليديين ... أمثال عجمى وبرنارد لويس وجودى ميللر وآخرين من هذه القائمة المعروفة .

خامساً: غموض سيناريوهات التحميل النسبي:

يرتبط برابعاً أعلاه الغموض المتولد عما اسميه بسيناريوهات التحميل فلقد أوضحت تفاعلات الأزمة عدة أشكال لهذه النوعية من السيناريوهات وأولها محاولة الدوائر الصهيونية توجيه رد الفعل الأمريكى عقب العمليات الإرهابية فى واشنطن ونيويورك فى اتجاه سيناريوهات الصدام الحضارى لصالح تفعيل سيناريوهات إسرائيلية تتعلق بإيجاد أقصى حالة من الاستعداد بين الدول العربية الإسلامية (خاصة مصر والسعودية كما فى الحملات الأخيرة) والغرب لصالح الأجندة الإسرائيلية ، وكذلك كانت هناك سيناريوهات تحميل من قبل أسامة بن لادن واتباعه لتوجيه رد الفعل فى الشارع العربى الإسلامى نحو الحرب الدينية مع الغرب محاولاً بذلك «اختطاف الإسلام» حسب التعبير الذى صدر فى الغرب وفى كتابات البعض فى الصحف العربية واللعب على أوتار القضية الفلسطينية ... ولكن تنبه مدير الأزمة الأمريكى إلى التأكد عن فصل الإرهاب عن الإسلام ليفوت الفرصة على بن لادن وكذلك تم عزل إسرائيل عن التحالف ومناقشة ملف الصراع العربى الإسرائيلى والتأكد على حق الفلسطينيين إقامة دولة لهم .. وحدث بالفعل اضطراباً بين شارون وبوش واعتذر شارون بعد الإساءات التى وجهها إلى بوش ولكن أين يكمن الغموض السلبى هنا ؟ يكمن فى أن الوعد الأمريكى البريطانى الإيجابى والذى ينبغى تأييده والسير نحو تفعيله لا يزال إلى لحظة كتابة هذه الدراسة غامضاً وغير ملموس ولم ينتقل بعد إلى نوعية الفعل المنشود والضغط على إسرائيل لاقامة سلام عادل يسترد من خلاله الفلسطينيون حقوقهم المشروعة بعيداً عن غموض «الحلول التسكينية المعهودة» دون تحقق شىء على أرض الواقع .

ويأتى فى إطار غموض سيناريوهات التحميل «سيناريو البعد القزوينى «وما بعد إنهاء مهمة أفغانستان أولاً ، حيث التواجد الأمريكى فى أفغانستان والاقتراب من ملف بحر قزوين وما يتعلق بالدول الإسلامية وثرواتها فى تلك المنطقة الإستراتيجية وهو أمر يكتنفه الغموض النسبى عموماً ويتطلب رؤية إسلامية جماعية للحفاظ على حقوق ومقدرات الشعوب الإسلامية فى هذه المنطقة من العالم .

سادساً: غموض قائمة الادانات المفتوحة

كما ذكرنا أن محاكمة المشتبه فيهم دون أدلة ثبوتية أو من خلال قانون الأدلة السرية الأمريكى السابق للأزمة والمتزايد بعدها ووجود لائحة مفتوحة قد تتسع طبقاً للمفهوم الأمريكى «للإرهاب»» و«التحريض» وإلى ما ذلك من مفردات غير محددة أو محدودة . فلقد تم نفى أن يكون حزب الله وجماعات النضال ضد الاحتلال الإسرائيلى من لائحة الإرهابيين فى بداية المرحلة الأولى من الأزمة ثم تم إدراج حزب الله وهذه الجماعات إلى اللائحة التى حازت على المديح الإسرائيلى وامتداح الموقفين الأمريكى والبريطانى لتجميد أموال هذه الفصائل بالرغم من أن هذين الموقفين

بعيدين عن قرارات الأمم المتحدة والقانون الدولى ومنحازين إلى إسرائيل ... وهنا قد يرى المحلل .. الموضوعى أن الغموض السلبى فى إدارة مبارة التحالف يشير إلى تقلب المواقف بشكل لا يبشر بإدارة رشيدة وعادلة وما لذلك من تدعيات سلبية ... فلقد فاجأ دفيد ساترفيلد – نائب مساعد وزير الخارجية الأمريكى – العرب وكل المحللين الموضوعيين بقوله أمام مؤتمر نظم «مركز تحليل السياسات المتعلقة بالشرق الأوسط فى ٢٠٠١/١١/٢ » أن الانتفاضة أى كان أصلها ، أصبحت عملية مستمرة من الإرهاب المقصود والتصفية (Systematic terrorism) ... ثم عمم القناعات الإسرائيلية الكاذبة بقوله أن صورة عرفات هى صورة إرهابى ومارق وعدو .. المشكلة هنا أن خطاب ساترفيلد هو محسوب على الخطاب الأمريكى الرسمى وليس الإعلامى فى إدارة هذه الأزمة .. ولقد ورد مثل هذا التقلب فى مواقف أخرى من شكوى أمريكيين ممن لا يعون المطلوب منهم فى إطار التحالف لدول صديقة وهو أمر ربما قد يمتد فى المستقبل لقطاعات أخرى ومن أطرف ما كتب كان بقلم جهاد الخازن فى الحياة اللندنية (٢٠٠١/١٠/٨) عندما قال : **ووجدت قريباً مقالاً كتبه جيم هوجلاند فى واشنطن بوست كان عنوانه جففوا سبيل المال** والكاتب لم يكشف «البارود» فالعالم كله يتحدث عن الحاجة لقطع الدعم المالى عن القاعدة .. وهناك تصريحات عن الموضوع ... أبقى مع التحليل النفسى ، فقد جذبنى مقال هوجلاند **لأنه أثار خوفاً عندى من أكتب يوماً مقالا لأننى مضطر إلى أن أكتب ، وليس لأن عندى شيئاً أقوله !!**

هذه الفقرة لجهاد الخازن تعبر عن عمق القلق من إدارة الغموض على النحو الذى دفع بالكاتب إلى هذا التصوير الكاريكاتيرى الصارخ !! .

أنماط الغموض ومعضلة الثقة والتعاون

من المعروف أن معضلة الثقة والتعاون Dilemma of Trust and cooperation من أصعب المعضلات فى عمليات التفاوض وإدارة الأزمات داخل وعبر الثقافات ... ولا شك أن ما ذكرناه عن توظيف أنماط الغموض السلبى الستة فيما سبق ليضيف صعوبات كبيرة فى التغلب على هذه المعضلة ... والحل فى تجنب توظيف هذه الأنماط السلبية للغموض يتطلب اتخاذ إجراءات واضحة ستصب إيجابا فى خانة تحقيق التغلب على هذه المعضلة .

ولعل من المهم أن نشير إلى دراسة مهمة فى مجال الإدارة الفعالة للأزمات ، خاصة فيما يتعلق بإدارة الغموض وهى دراسة صادرة عن مدرسة إدارة الأعمال بجامعة هارفارد بعنوان «إدارة الغموض» .

فى عام ١٩٩٩م مع تطبيقات على التفاعلات السلوكية بإدارة الأزمات[1] وأهم

(1) Harvard Business Review on managing uncertainity harvard business school press 1999 .

ما نستخلصه من مبادئ مهمة ينبغى تطبيقها على تفاعلات هذه الأزمة ونحن فى محاولة الحوار الإيجابى مع من يطلبون منا الحوار يكمن فيما يلى :

١- تقليل حجم المخاطر الكبري والخطوات غير المحسوبة

Big risk reduction un-calculated steps

تكمن مخاطر الأزمة الكبرى التى ينبغى تداركها فى فقدان رؤية للمباراة السوبر super game أى إدارة الحرب ضد الإرهاب الحقيقى دون تفجير مشاكل أكبر فى تنفيذ هذا الهدف ... أى ترك الصراع العربى الإسرائيلى دون حسم حقيقى على الأرض ، وأن تزداد الأمور سوءاً فى أفغانستان والباكستان ... أى أن تؤثر قضايا إقليمية متفجرة على مجرى إدارة الأزمة لعدم وجود وزنة دقيقة للإدارة الكلية والفعالة لأهم المباريات المصاحبة لإدارة الأزمة الراهنة والحرب ضد الإرهاب ... وأهمية تحقيق مقولة فصل محاربة الإرهاب عن محاربة الإسلام لابد أن يرى بالفعل وليس بالكلام وليس بالفعل المنافى للكلام .. أو ترك الإرهاب الشارونى يعبث فى الأرض دماراً وفساداً بسفور وخسة غير مسبوقة فى التاريخ أو فتح جبهات أخرى باندفاع الانتقام بعد سهولة الانتصار العسكرى فى أفغانستان ورخصه ، من هنا لا يتمنى أى عاقل يريد محاربة الإرهاب الحقيقى أن يأتى بعد «أفغانستان أولاً» ... خطوة قد تكون قادمة برعونة سياسات القوة والمكارثية التى يتعين تجنبها ولقد حذر الرئيس مبارك منذ التفاعلات الأولى للأزمة فى لقائه بوسائل الإعلام الأمريكية حينما ذكر «إن قتل أبرياء هو أسوأ الحلول .. وقال على الأمريكيين ألا يلعبوا نفس لعبة الإرهابيين ، إنهم يترقبون إجراءاتكم القمعية حتى ينطلق من بين الدماء والحطام جيل جديد منهم يطالب بالثأر من أمريكا ...

٢- تجنب توظيف نظرية الفاعل أو الدولة المجنونة :

تناولت تطبيقات لنظرية الدولة المجنونة أو ما يسمى فى العلاقات الدولية بمباراة الجبان Chicken game فيما يتعلق بالصراع العربى الإسرائيلى فى سياق سابق[1] حينما تمارس إسرائيل دور الدولة المجنونة القادرة على ارتكاب افظع المجازر واللجوء إلى كل أنواع الأسلحة للتخويف والتهديد وتحقيق إذعان الفلسطينيين والعرب ولهذه النظرية أساليبها التى لم تنجح سوى فى إثارة حالة من دائرة العنف المتبادلة واللانهائية أو «الجنون المتبادل» والتى لن تحقق لا الأمن ولا السلام لأحد ، هى أخيب نوع من المباريات ولا يوظفها إلا الفاعل السياسى محدود القدرة الذهنية والنفسية والأخلاقية مفتقداً خيال التحرك الإيجابى ... والخطورة والسلبية فى إدارة هذه الأزمة الراهنة أن تستجيب الإدارة الأمريكية لتلك الأصوات التى لم تعى بعد فشل وضعف وسطحية مثل هذا التوظيف الذى لا يليق بالطبع بقوة عظمى ولعل من ابرز الأصوات فى هذا الصدد صوت الصحفى توماس فريدمان الذى كتب مقالاً فى نيويورك تايمز ونشر بالعربية فى جريدة الشرق الأوسط (٢٠٠١/١٠/٢) بعنوان من

(١) راجع لكاتب السطور «مجزرة الحرم الإبراهيم ومسار الصراع والتفاوض الاهرام ١٩٩٤/٣/١ مباراة الجبان فى الصراع العربى الإسرائيلى الأهرام المسائى ٢٠٠١/٧/٢٩ .

«أجل العدالة والأمن ... دعونا نمارس بعض الجنون » ، والسؤال الملح هو هل ممارسة هذه النظرية على عجائز وأطفال ونساء الشعب الأفغانى الى تعرض للقصف بأعتى الأسلحة وأطنان الصواريخ والقنابل وتدمير ما تبقى من منشآت متهالكة يحقق تأثير «نظرية الدولة المجنونة» المطلوب ؟ وهل هذه النظرية تعنى التعمد فى زيادة سوء المعاملة ضد العرب والمسلمين فى دوائر الإعلام الأمريكى دون أساس من الأدلة ؟! وهل هذه النظرية بمفرداتها الجنونية أو الاختزالية يصب فى خانة بن لادن المرفوضة هى الأخرى والرقص على أنغام طرحه عن الحروب الدينية ؟! إنها أسئلة لا تزال تبحث عن إجابات !! .. أم أن الأمر وكما ذكر كولن باول نفسه فى بداية ، الأزمة معقدة ولا يمكن أن نترك فى أيدى العسكريين والعمليات العسكرية فقط ... ولا يزال الأمر غامضاً بشأنها فى هذه المرحلة الأولى من الأزمة .

٣- القيمة المضافة هى الحل فى هذه الأزمة من اجل استئصال فعال لجذور الإرهاب :

تتحدث دراسة إدارة الغموض والأزمات الصادرة عن جامعة هارفارد (١٩٩٨) التى أشارنا إليها عن قاعدة مهمة تتعلق بأخذ بعد «القيمة المضافة» (Added val-ues) وهى طبقاً لخبير إدارة الأزمات المعروف براندنبرج (BRANDEN BUR-GER) تفيد : «**بأن نجاح إدارة الأزمة يتوقف على القيمة المضافة من قبل فريق إدارة الأزمة ومن قبل فريق التحالف – فى حالة وجوده – فهناك عدة طرق يستطيع مدير مباراة التحالف فى الأزمة أن يستخرج بها أحسن ما فى كل مشارك فى التحالف وهنا طرق وأسلوب فى الإدارة يدفع المشاركين لاستخراج كل إضافة إيجابية ممكنة لديهم حتى يشعروا بما أضافوا من قيمة إيجابية للإدارة الجيد للازمة**[١] .

وفى تفاعلات هذه الأزمة فإن المطلب أن يساعد مدير الأزمة الأمريكى الآخرين على تطبيق هذه المبادئ فى إدارة الأزمة لصالح الجميع ولصالح مباراة غير صفرية ولصالح محاربة حقيقية ممتدة للإرهاب بكل صوره .

إن الخلاصة المتعلقة بتحليل جزئية أنماط الغموض السلبى ومعضلة الثقة والتعاون ، لابد وأن تنتهى إلى أسئلة ملحة توجه إلى كل من مدير الأزمة الأمريكى وكذلك لمدير الأزمة على المستوى العربى والإسلامى بحكم أن العرب والمسلمين قد أصبحوا طرفاً فى هذه الأزمة سواء كان ذلك على مستوى التحالف الدولى ومحاصرة واستئصال الإرهاب أو على مستوى الإعلان والإتهامات الموجهة إلى تلك «الكوكبة» من الإرهابيين التى اتهمت بأحداث الإرهاب فى نيويورك وواشنطن ويجرى البحث عن كل ما يتعلق ويرتبط بها بحكم أنهم عرب مسلمين ... وهنا يقع الخلل القائم ولعل أبسط مثال للتدليل على هذا الخلل الرد عليه هو ما دار من حديث مع محمد على بطل الملاكمة العالمى المعروف عندما ذهب إلى موقع تدمير برجى

(١) راجع المصدر المشار إليه فى (٣٣) ص ٧٧ .

مركز التجارة العالمـــى وسئل مـــا قولك فى أن مسلمين مثلك هم الذين قاموا بهذا العمل المفزع ؟! ... فأجاب محمد على باختصار مفيد .. «لقد كان هتلر مسيحياً ....!! » .

والمشكلة التى سنتعرض لها بعد «غموض الأزمة» هى أن هناك من ربط الإرهاب والعنف بالإسلام ظلماً عدواناً ولكن يبدو أن قد نجح فى ذلك ذلك ومن ثم علينا الكثير من الجهد لأزالة هذه التشويه ولهذا سياق تفصيلى آخر ..

فعلى صعيد مدير الأزمة الأمريكى نقول لقد استجبنا هنا إلى نداءات ومناشدات المسئولين الأمريكيين والمفكرين والمعنيين فى الغرب بالتعرف على آراء عربية إسلامية فى زاوية من زاويا الأزمة ورؤية الخروج منها ويتضح من هذه الدراسة الأولية المتواضعة أن نجاح إدارة الأزمة يرتبط بالسعى لفك أنماط الغموض السلبى الموضحة تفصيلاً من خلال إجراءات محدودة وحاسمة لبناء الثقة والتعاون الفعال لصالح الجميع ونقول له .. دعك من برامج العلاقات العامة «ولماذا يكرهوننا» وحملات الإعلام الموجه وبرنامج «أنا أمريكى» ورصد خمسمائة مليون دولار مؤخرا لإنشاء محطة فضائية بالعربية لتحسين صورة أمريكا ... فكل ذلك لن يؤدى إلى الإدارة الفعالة لهذه الأزمة المفصلة والممتدة بالمقارنة إلى الأفعال الحقيقية وإجراءات الثقة الفعلية المطلوبة والتى أشرنا إليها ويمكن للولايات المتحدة تحقيقها على أرض الواقع ... وأهمها تجنب الإدارة بالغموض السلبى الذى يستخدم عادة للتهديد والتخويف ولا يأتى بنتائج تذكر أو بنتائج عكسية خاصة إذا ما وظف فى إطار مباريات من نوع مباريات التحالف الدولى المطلوب لمحاربة كل صور الإرهاب الحقيقى وليس المفتعل أو المسيَّس لأغراض خاصة .

أما فيما يتعلق بمدير الأزمة على الصعيد العربى على صعيدى دبلوماسية المسار الأول ودبلوماسية المسار الثانى الإعلامية والشعبية فعلية التركيز الشديد على السعى لفك نواحى الغموض السلبى والتداعيات التى قد تكون من أخطر ما يكون إن لم يتم محاصرتها وإدارتها بفاعلية وابتكارية وسرعة ... ونقول ينبغى أن يكف البعض عن الاستغراق فى حالة الاندهاش والانفعال والاختزال والتركيز على مجرد الرد على الحملات المحمومة ضد العرب والمسلمين وضد الدول الإسلامية من الإعلام الأمريكى فهذا قد لا يكون مهماً بالقدر الكافى ولن يكون على مستوى أهمية الفعل المبادر والجماعى على المستوى العربى والإسلامى للسعى نحو تبديد وفك نواحى الغموض السلبى والتعاون الدولى على أسس عادلة والاستعداد لكل التطورات المحتملة وإعادة ترتيب البيت داخلياً بهدف التفعيل الأقصى للطاقات المتاحة والتعلم من دروس هذه الأزمة ودلالاتها بالغة الأهمية على أصعدة متعددة .. وقد تكون

الأزمة فرصة لإدراك العرب والمسلمين للتوحد وبناء القوة الجماعية اقتصادياً ، وسياسياً ، وعسكرياً وتطوير الإدراك لفقه النوازل الدولية المستحدثة للإسهام دولياً فى بناء تفاعل حضارى إنسانى يليق بالأمة العربية والإسلامية .

(٤) مقال لكاتب السطور بعنوان : أجندة «لحوار الحضارات» أم «للتفاوض مع الغرب» ؟! (الأهرام ٢٠٠١/١٢/١٦)

– ويتعامل هذا المقال مع بعد التواصل العربى العربى لمواجهة تداعيات أزمة الحرب الجديدة وتنظيم الصفوف وتدعيمها بخصوص ما عرف «بحوار الحضارات» ودراسة تفاعلات المؤتمرات واللقاءات التى دارت فى العواصم العربية المختلفة تحت هذا المسمى .

– الإشارة إلى أوجه الخلل فى التفاعلات التى جرت فى إطار «حوار الحضارات» .

– تقديم الفرق الجوهرى بين «الحوار» و«التفاوض» وما مدى انطباق هذين المفهومين على تفاعلات الأزمة الراهنة .

أجندة «لحوار الحضارات» أم «للتفاوض مع الغرب» ؟!

أظهر العديد من اللقاءات والمؤتمرات والمقالات التى عُقدت وكتبت تحت مسمى «حوار الحضارات» أو «الاسلام والغرب» مؤخراً عدة حقائق تفاعلية لابد من التوقف أمامها بالتحليل ونحن بصدد السعى إلى استنهاض خطاب عربى إسلامى يمكن من خلاله التعامل مع المستجدات والأزمات وتوابعها الممتدة والخطيرة بشكل ايجابى وفعال .

ومن المفترض أن يكون الهدف من استنهاض مثل هذا الخطاب التركيز على صياغة وتفعيل أجندة ممتدة وتراكمية وديناميكية لتصب فى تحركات وجهود الحوار والتفاوض مع الأخرين فى عالمنا . ومن المهم تأكيد أن لمثل هذا الخطاب المأمول أهميته على صعيدين حيويين : الأول هو الدفاع عن مصالحنا العليا وأمننا القومى بالمعنى الآخذ فى الاتساع لهذا المفهوم «الحيوى» ، والثانى على صعيد الاستمرار فى مسيرة إصلاح وتطوير حقيقيين ومطلوبين قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١ وبعدها بحيث يكون للحوار والتفاوض الداخلى بين عناصر الأمة ، وفيما بين الدول العربية الإسلامية عائد ومردوداً لصالح عملية بناء القوة وتجنب السقوط فى الفخاخ المنصوبة وإدارة الاختلافات ، خاصة فى ظل «القصف الفكرى» الذى نتعرض له وبكثافة غير مسبوقة .

من هنا وفى إطار الإسهام فى بلورة مرتكزات وعناصر مثل هذا الخطاب ، نشير إلى أوجه خلل أساسية أبرزتها تفاعلات «مؤتمرات ولقاءات حوار الحضارات» وهما :

[١] على صعيد الخلط غير العلمي فيما يتعلق بمفهومي «الحوار» و«التفاوض» .

... مع الإقرار بخطأ تقسيم العالم إلى حضارات بشكل متعسف ومختزل كما هو حادث اليوم ، كما أفاد بذلك العديد من الآراء ومن أهمها ما ورد في مقال لأماريتاسين أستاذ الاقتصاد بجامعة كمبريدج والحائز على جائزة نوبل بعنوان «تقسيم العالم إلى حضارات .. خطأ» .. (نيويورك تايمز ٢٠٠١/١٢/١) ، نقول إنه من المهم توضيح الفرق علميا بين مفهومي «الحوار» و«التفاوض» سواء كان داخل الثقافة الواحدة أو عبر الثقافات أو عبر الحضارات أو في أي سياق ، وبداية نشير إلى طبيعة الخلط ، كما جاءت في واقع تفاعلات موتمرات ولقاءات «حوار الحضارات» حين قال متحدث «إننا بصدد الحوار وليس التفاوض .. فالحوار لا يعني التنازل والتفاوض يعني ذلك ..» وكان ذلك في إجابته على تساول آخر كان يقول : «عن أي حوار نتحدث ؟ وعن أي مرجعية أن المقصود بحوار الحضارات هو تقديم التنازلات » !!

وفي لقاء متلفز قال أحد المثقفين المعروفين ممن شاركوا في مؤتمر حوار الحضارات الأخيرة بجامعة الدول العربية (في برنامج الاتجاه المعاكس بقناة الجزيرة) .

«أنت رجل دين تتحدث عن المطلق .. أما أنا فأتحدث عن التفاوض ... والتفاوض نسبي وعلماني ..» والمقولتان السابقتان كانتا نقطة حوارات وجدال غير علمي .. مطول . من هنا وجب القول أن الحوار علميا يعني التفاعل مع الآخرين على أساس ما يسمى «بالمبدأ التعاوني» . أي في وجود حالة من مباريات التعاون غير الصفرية بين الأطراف المتفاعلة أساساً . أما التفاوض فهو يعني التفاعل مع الآخرين على أساس ما يسمى بالمبدأ التنازعي ، أي عند وجود أجندات متنازعة ومتناقضة بين طرفي التفاعل ، وهنا قد تستخدم العديد من المباريات طبقا لنوع التفاوض من حيث كونه «استكشافياً» للتدقيق في المعلومات والإدراك الصحيح للموقف والأطراف أو «لإحداث تأثيرات ذهنية لدى الأخرين» أو بهدف إعادة هيكلة مواقف بعينها .. إلى ما ذلك من الأنواع السبعة الأساسية التي تناولناها في سياقات سابقة . وإذا كان للحوار ضوابط ومعايير أساسية من المفترض أن تكون معروفة ومطبقة ، فإن التفاوض هو النطاق التفاعلي الأكثر تعقيداً فهو يتطلب تدربا تقنيا عاليا لاستيعاب وفهم أنواع مباريات التفاوض المختلفة ، ويحتاج إلى مهارات تفاعلية من نوع خاص لتوظيف الاستراتيجية والآليات والقنوات الملائمة ، كما أنه يحتاج إلى فهم وتحليل النصوص والنظم ومعرفة عميقة بموضوع التفاوض والمعرفة التقنية لعناصر الحجج وتفنيدها وبناء السيناريو لتفعيله من خلال أجندة معينة مع القدرة على رصد سيناريوهات الآخرين وأساليب احتوائها . إذن نحن عندما نتحدث عن الحوار نعني مهارات من

المفترض أن يملكها المتحاورون من حيث معايير الكمية والاتساق والاستماع الجيد ووضوح الفكرة وآداب عدم المقاطعة وإيقاع المتحدث وما إلى ذلك ، أما التفاوض فهو أعقد من ذلك بكثير خاصة إذا أرتبط بتفعيل سيناريوهات واحباط أخرى على المدى القريب أو البعيد .

والسؤال المحورى هنا : هل نحن بصدد مجرد حوار مع الآخرين فى عالمنا تحت مسمى «حوار الحضارات» بما يعنيه مفهوم الحوار مع إضافة التعرف على اشكاليات الحوار عبر الثقافات بالمعنى السابق المقصود من الحوار والذى ينبنى على المبدأ التعاونى أساسا بين المتفاعلين وهو عادة الشائع فى الظروف الطبيعية ، ويمكن لأعداد لا بأس بها ممن يجيدون لغتين ممارسته بنجاح عبر الثقافات ؟! أم أننا بصدد إدارة تفاوض صعب للغاية ومعقد مع وجود أجندات معلنة وغير معلنة أكثر تنازعا فى ظل أزمة دولية معقدة تحتاج إلى إدارة من نوع خاصة وأساليب عديدة لاحتواء واستباق تداعيات من أخطر ما يكون ؟! والأمر يحتاج إلى كوادر مدربة على أعلى مستوى متخصص . والسؤال هنا : هل الحشود التى تحاول التصدى لهذه الأزمة على مستوى «لقاءات ومؤتمرات . حوارات الحضارات» مدربة بالمستوى المطلوب للتعامل مع المهام التى ينبغى أن توكل إليها ؟! والإجابة . من خلال تحليل التفاعلات تقترب من أن تكون هي «لا» مع الأسف .

إن خلاصة هذه النقطة المتعلقة بالتمييز المطلوب بين «الحوار» و«التفاوض» كمفهومين أساسيين ومحوريين يتطلب أن نسجل ما يلى من تعليق على مقولة «مثقفنا الكبير» أنت رجل دين تتحدث عن المطلق .. وأنا أتحدث عن التفاوض وهو نسبى وعلمانى » . فنقول :

(أ) إن التفاوض علم معقد ، وقد يكون نسبياً حين توظيف المتفاعلين لمباراة تعاونية غير صفرية ، وقد لا يكون نسبياً بل إطلاقى جداً عند توظيف المباراة الصفرية حين يريد طرف إلغاء الآخر واخراجه خاوى اليدين ليكسب هو كل شىء كذلك التفاوض لا يعنى التنازل . كما ذهب لذلك المتفاعل الآخر .. إذا ما أحسن المفاوض إدارته للمواقف . وفى حالة الأزمة الحالية التى يمكن انتهاز فرص بها يمكن تعظيم المكاسب إذا ما حدث التنسيق الملائم بين دبلوماسية المسار الأول الرسمية والمسار الثانى غير الرسمية وتم تعظيم قدرات إدارة الاختلافات وتعظيم أوراق المفاوض الممثل للواقع العربى الإسلامى .

(ب) أن التفاوض ليس «علمانياً» كما ذهب إلى ذلك «مفكرنا» فى التفاعل أعلاه ... فالتفاوض علم بحت كما ذكرنا ، إلا أن أجندة وموضوعات التفاوض قد تأخذ الصبغة «العلمانية» أو «الإسلامية» أو «الصهيونية» أو «المسيحية» أو «المصرية» أو «الأمريكية» أو سمّها ما شئت ..

(جـ) إننا بحاجة إلى «الحوار» الذى هو بطبيعته يستند إلى شيوع المبدأ التعاونى بين المتفاعلين فى إقامة رؤوس كبارى مع مثقفين وشخصيات مهمة فى الغرب وقطاعات مؤثرة تبحث عن التعاون وتبتعد عن دائرة صدام الحضارات ونحتاج إلى التفاوض لإدارة تفاعلات الأجندات المتصارعة ، والسعى لتفعيل سيناريوهات تتفق وأجندتنا ومصالحنا ، واحتواء سيناريوهات أخرى غير مرغوب فيها بأساليب مبتكرة ومتعددة تحتاج إلى إدارة وهندسة أكثر من مسار للتحرك على الأصعدة المختلفة ، ولهذا سياق تفصيلى آخر .

على صعيد الخلط بين النص المغلق والمفتوح للأديان :

المقولة السابقة لمثقفنا «أنت رجل دين تتحدث عن المطلق ..» تفتح الباب أمام نقطة حيوية فى سياق الأزمة الراهنة سأتناولها فى مقال منفصل خاصة فيما ورد عن ذلك فى الإعلام الغربى . وهنا نقول أن رجل الدين بالفعل يتحدث عن المطلق فيما يتعلق بالمعتقدات والعبادات وهذا ما يسمى بالنص الدينى المغلق لأتباع هذا الدين أو ذاك . أما النص المفتوح للأديان فهو المتعلق بما فى هذا الدين أو ذاك من تعاليم ونصوص تتعلق بالتعامل مع الآخرين وبمفهوم التعددية .. وبما أن الإسلام والمسلمين قد أصبحوا طرفاً مباشراً وغير مباشر فى تفاعلات هذه الأزمة وتوابعها فلابد من التأكيد على أن الإسلام خاصة وفى جوهره وصميم بنيانه يقدم أرقى معايير التفاعل السلمى والعادل والمنطقى والراقى فى التعامل وفى التواصل عبر الأديان والثقافات .. وبه كنوز تحتاج إلى من يستخرجها ليستفيد منها العالم أجمع فالآية الكريمة .. ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ..﴾ (سورة سبأ ٢٤) تتضمن أهم مبدأ لتسوية النزاعات والتركيز على حل المشاكل مع الآخرين حتى وإن كانوا من الكفار دون فرض معتقد أو فكر أحد على الآخر ، ولقد طلب المولى عز وجل من المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يذكرها للكفار فى تفاعله معهم .. والمطلوب فعلاً اليوم هو إزالة التشويه الحادث بجهود كبيرة تتعامل مع النصوص المفتوحة المتعلقة بالتعددية والتسامح وبناء القوة الحقيقية وفتح الاجتهاد لتحديث الفقه الإسلامى وإرساء قواعد معاصرة ما بين فقه النوازل الدولية وعلم إدارة الأزمات ومفاهيم التفاوض والحوار مع الآخرين وهو ما ينشغل به كاتب السطور منذ فترة طويلة وخلاصة هذه النقطة التى هى بحاجة إلى تفاصيل كثيرة فيما يتعلق بتدريب الدعاة كما هو الحال فيما يتعلق بأهمية بتدريب الدبلوماسى والإعلامى العربى على تقنيات عملية التواصل عبر الثقافات واشكالياتها ومهارات التفاوض المتعلقة بكل من هذه المجالات وما يتداخل فيما بينها وما يتعلق كذلك بفهم وفقه تضاريس الواقع المركب الذى نعيشه اليوم .

٣- على صعيد ظاهرة «الحوار الأحادى الجماعى» وعقلية الينبغيات : المقصود «بالحوار الأحادى الجماعى» هو ظاهرة سلبية يقوم المتحاور فيها باستخدام جماعة المستمعين المجتمعين بالتحدث إليهم وليس بالتحدث معهم أى التفاعل على سبيل الإبلاغ والتقرير بوجهة نظر المتحدث فقط والتى تكاد أن تكون مشفوعة بعبارة «وليخسأ الخاسئون .. » دون الاستماع الجدى والفعلى لما يقوله الآخرون والتعامل الإيجابى بتبادل الحجج وتفنيدها وصولا إلى نتيجة مشتركة مع من نتحاور معهم . ، وهذه الظاهرة تحقق الكوارث ولها تجلياتها المرتبطة بما اسمية «بعقلية الينبغيات» و«لغة الاندهاش والمغبة» .. حيث شهدت ساحات «حوارات الحضارات» لقطات عديدة لمن يجسدون هذه الظاهرة وربما دون أن يشعروا بذلك حيث لا تجد فى مقولاتهم سوى «على الغرب أن .. وينبغى عليه أن يعى أن مصلحته ليس فى الصراع وأننا نحذر من مغبة الاستمرار فى طرح نظرية الصدام .. وينبغى على الغرب أن يعى أننا أمة من مليار مسلم .. ولن نسمح بالتهديد .. وأمريكا تعلم أن .. ولينظر الغرب فضل العرب والمسلمين عليه .. ولينظر إلى حالة الإنحطاط والتردى الذى وصل إليه .. إلخ) .

ويكتفى المتحدث بهذا الطرح والأسلوب ولا يخرج عنه ومع الأسف قد تجد له من «المعجبين» من الحاضرين .. رغم تخليه عن الجزء الأهم وهو «كيف واخواتها» وليس (إن وأخواتها) و«الينبغيات» أو «المغبات» التى برع فيها .. بكلمات أخرى افتقاد أسلوب وطرح «حل المشاكل (Problem Solving) » .

على صعيد الإطاحة بالفرص وإيصال الآخرين لحالة الإستعداء الكامل :

من الظواهر الأخرى الخطيرة فى سلبياتها والتى وجدت فى موسم «حوار الحضارات» ما تجسد فى لغة الاطاحة بالفرص التى يتعين الامساك بها «وتطوير الحالة السلبية فى التفاعل نحو إحداث الإستعداء الأكثر لنا . ففى أكثر من مناسبة كانت هناك بعض البوادر الإيجابية فى رسائل الآخرين فكان الرد عليها بالرفض لأنها «ليست كافية» والمشكلة أن قواعد التفاوض الإيجابى تقول بأن البوادر الإيجابية هى فرصة المفاوض الجيد أن يجعلها أفضل وأفضل بجهوده هو لأن عادة وكطبيعة انسانية لا أحد يقدم للآخر شيئاً على طبق من ذهب أو فضة أو حتى «ملامين» ! وأكثر من ذلك وبالإضافة إلى الإهدار لمثل هذه «البوادر غير الكافية» تقوم نوعية مغيبة عن الواقع والحقائق بتطوير الرفض إلى أسلوب للإدانة وإلى مرحلة الاستعداء أو عدم التعاطف الأكثر لنا من قبل الآخرين .

وأوضح مثال على ذلك عندما ذكر بوش كلمة "crusade" التى فهمت على أنه يتحدث عن حرب صليبية وهى بالفعل وفى الإنجليزية الراهنة تحول معناها لتعنى

«أى حملة» .. وإن كان لها ظلال من الماضى ولكن عادة ما تقال كثيراً وبشكل تلقائى لتعنى حملة دون أى معنى «صليبى» ولقد أوضحت ذلك فى كتابى بعنوان أزمة الخليج ولغة الحوار السياسى فى الوطن العربى (١٩٩٢) عندما أوردت وصف مجلة التايم فى ذلك الحين لغزو العراق للكويت بأنه حملة عراقية ووصف صدام حسين حينذاك بأنه قائد الحملة وبالطبع لم تكن حملة العراق «حملة صليبية» بل على العكس تم استخدام «الاسلام» واختطافه كما حدث فى أزمة أحداث سبتمبر ٢٠٠١ تماماً ، كما استخدمت قضية فلسطين أو اختطفت لتغطية «أم المصائب» «الجزء الأول» فى ٩٩ وكما فى أم الجزء الثانى ٢٠٠١ التى نعيش توابعها الخطيرة .. حينما استخدم بوش تلك الكلمة التى ترجمت إلى «الحملة الصليبية» اعتذر بوش لردود الفعل الغاضبة وذهب إلى المركز الإسلامى فى واشنطن وكرر أنه ضد الإرهاب وليس ضد الإسلام وكرر ذلك تونى بلير وكذلك كولن بول .. ولكن وبدلا من الامساك بهذه البوادر الإيجابية (غير الكافية) والعمل على تطويرها على الرغم من ادراك الصعوبات والتحيزات البالغة والخطيرة المعروفة اخذ قطاع لا بأس به من جماهير «حوار الحضارات» يركزون كل جهودهم لإثبات أن الحرب دينية صليبية وأنها ضد الإسلام والمسلمين .. والسؤال المطلوب الإجابة عنه حتى ومن سهولة إثبات ذلك وسهولة اثبات أن العالم كله قد أصبح يتعامل مع امبراطورية لا تبالى إلا بمصالحها وتتحيز فى ذلك إلى أبعد الحدود غير المسبوقة ، فهل هذا الجهد أو ما شابه الجهد المطلوب منا ؟ أم المهم هو تطوير أى بادرة إيجابية ولو كانت نسبة هذه الإيجابية محدودة حتى نقف على مربعات أفضل ولا نتركها فتحتلها قوى الصدام ودوائر العدوان التى تستهدف كل مقوماتنا وتحاول تكريس وتعظيم حجم الاستعداد لنا .. وللحديث بقية .

(٥) مناظرة مع صموئيل هنتينجتون وفرنسيس فوكوياما فى طرحهما لعام ٢٠٠٢ فى الإطار الأوسع للحوار والتفاوض مع الغرب ومفكريه على اختلاف توجهاتهم :

كما يتضح يتضح من هذه الدراسة فى كليتها أن الهدف فى النهاية وضع أجندة ممتدة للحوار والتفاوض مع مفكرى الغرب ومنظريه على المستويات الثقافية والسياسية للإسهام فى صياغة أجندة الدبلوماسية المطلوبة من قبل الرأى العام فى إطار دبلوماسية المسار الثانى التى يتعين علينا شغر مساحات التفاوض الخالية من تواجدنا الفعال بها ولعلنا نشير إلى عدة منطلقات تدفعنا إلى مثل هذه المناظرات وهى كما يلى :

* إنا يمكننا تصور أسئلة أو طرح يقول بأنه «لا عائد من الحوار والتفاوض مع

الغرب» أو «لا عائد من مناظرة أمثال من أصبحوا من المروجين لسياسات فرض النموذج الأوحد والصدام الحضارى ويكاد أن يكونوا مجرد أدوات فى ترويج أجندة سياسية تسعى للهيمنة وترسيخ مفاهيم القوة المفرطة والاحتلال النفسى للعقل أو الترويج النفسى للنماذج وصراع الأديان والحضارات كتغطية لتحركات استعمارية جديدة تتخفى وراء كل ذلك ... كأن تشير إلى الاتجاه يميناً ثم تتحول لليسار على سبيل الخداع .. كل ذلك ممكن تصوره وممكن أن يكون له منطقه السديد ومن الممكن أن تكون كل هذه التصورات المتخيلة قائمة فى واقع التفاعلات المركبة ، ولكن جدوى التناظر – ليس فى إطار رد الفعل الضيق لطرح البعض كما يحلو لاصحاب الصيغة الناقدة المحبطة واللا فاعلة حقيقة فى واقعنا العربى – ولكن جدوى المناظرة يتمثل فى الآتى :

(أ) كشف النقاب عن زيف الطرح والحجج التى يسوقها كل من يروج لفرض النموذج الغربى الأوحد بالتعسف والافتعال وصدام الحضارات وما وراء طرحهما بالحجة واللغة العلمية الهادئة .

(ب) منع ازدياد قناعات الآخرين المستهدفين من طرح مروجى النموذج الأوحد وصدام الحضارات بالتواجد بالرأى الآخر .. فى محاولة ممكنة لمنع التفعيل الخاطئ للسياسات والتعامل بحسن الظن لآخر لحظة مع مروجى النظريات الغربية بمناقشتهم وإنصاف توجههم ورؤيتهم السليمة حينما يتصف طرحهم بالعلمية والمنطق المقبول وهذا ما أوضحناه باظهار جوانب جيدة فى طرح هنتينجتون الأخير ٢٠٠٢ (الأهرام ٢٠٠١/١٢/٢٣) بعيداً عن الانفعال والتعميم المتعسف الذى أخذناه عليه فيما ذهب إليه عن إثارة النقاط التى اتسمت بذلك وكذلك فيما يتعلق بطرح فوكوياما الذى ناظرناه فى جريدة الأهرام (٢٠٠١/١٢/٢٩) .

فلا يجوز أن يتسم طرحنا وأسلوب تعاملنا بأى مستوى من الاختزال والتعميم المتعسف والخروج من مناقشة طرح المضمون إلى الأشخاص وإلا ما شاب طرحنا الضعف والخلل هو الآخر ، وافتقدنا لفتح باب المراجعة للآخرين للرجوع للحق وهو أساسى . حتى ولو كان فى ابتسارهم واختزالهم للحقائق وترويجها بمثابة ما نراه على كونه عداء أو استعداء للعالم علينا وذلك انطلاقا من مبدأ حضارى أصيل يتمثل فى قول الحق ﴿يا أيها الذين أمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولايجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعلمون..﴾ (المائدة ٨) .

(جـ) أننا بصدد استكمال ما رصدناه ، فى هذه الدراسة لتضاريس الساحة

الغربية بكل ما يموج بها فمناظرة هنتينجتون وفوكوياما هنا مجرد اتجاه ضيق الاتجاه الأوسع الذى نقدمه فى دراسة أخرى بعنوان «الحوار مع مفكرى الأمبراطورية» .

•• بل عصر تكنولوجيا العداء للمسلمين

(نشر هذا المقال ومقال هنتينجتون فى صفحة مناظرة بجريدة الأهرام فى ٢٠٠١/١٢/٢٢)

إن مقال صموئيل هنتينجتون الاستاذ بجامعة هارفارد – المترجم والمنشور بهذه الصفحة المتميزة فى جريدة الأهرام التى تتبنى فكر المناظرة وحرية الرأى والتعبير من أجل الوصول إلى حقائق الأمور يعتبر مثالا تطبيقيا فى كليته وطريقة اخراجه من قبل مجلة النيوزويك فى عددها الأخير لعام ٢٠٠٢ لما أسميه باستراتيجية تصنيع صور الكراهية للمسلمين أو بمعنى آخر هى انعكاس «لعصر تكنولوجيا العداء للإسلام والمسلمين» مع الأسف ، حيث تستخدم لأغراض التشويه أشكال وأساليب وتقنيات عالية المستوى ينبغى أن نشهد لها بالحرفية فى الاعلام الغربى وبشكل متردد وعالى الكثافة . وهو الأمر الذى لابد من التصدى له وكشف تلك الأساليب التى تهدف لترسيخ صورة ذهنية فى غاية السلبية من شأنها إلحاق الضرر الشديد بصورة الإسلام وحقيقته السمحة ، وأن تخفى موظفو تصنيع الكراهية عن قصد أو غير قصد وراء جمل وعبارات الزعم بفصل «الإرهاب عن الإسلام» .. ووراء الاحصائيات المبتسرة وأشكال من اللغة «الموضوعية الظاهرية» ...

فمجرد النظر لإخراج المقال الأخير الذى كتبه هنتنجتون ، نجد عنوانه «عصر لحروب المسلمين ..» مكتوبا على اتساع صحفتين كاملتين فوق مآذن المسجد النبوى الشريف بالمدينة المنورة ومتبوع بخمسة أسطر تتضمن تلك المفردات الإيحائية بأبشع صور العنف المناقض لبهاء وآمان وروعة وصفاء المشهد الذى كتبت عليه .. مثل «أرض المعارك» «العنف المتدفق» «فورة بركان العنف» «الصدام الكونى» .. ناهيك عن العنوان الذى يصور فيه هنتنجتون مع لمسات محترفى التصوير بالنيوزويك هذه المرة حروبا يشنها أو قد يشنها المسلمون ضد الغرب وضربات العالم كله !! .. وإن هذا العصر الذى سنرى الأوجه الحقيقية لوصفه بدقة يوحى باختزال وتشويه كبيرين بأنه «عصر حروب المسلمين فقط» ؟!!

أبدأ وأبادر بهذه المناظرة الموجهة لهنتينجتون وكذلك ليتفاعل من خلالها المعنون فى المجتمع العلمى الدولى الذى ينبغى أن يشارك فى إدارة هذه الأزمة الدولية الممتدة بعملية وموضوعية وإخلاص .. فبشرية هذا القرن كلها فى قارب واجد في نهاية المطاف والنجاة والغرق قد يلحق بالجميع فى نهاية المطاف من هنا نبدأ بالأسئلة التالية :

أولاً : هل صحيح أن هذا العصر هو «عصر حروب المسلمين» ؟ وهل هذه الفكرة المركزية فى طرح هنتينجتون ترقى علميا وموضوعيا لتكون البديل عن مفهوم

«الحرب الباردة» حيث يقول : «إن حروب المسلمين قد احتلت مكانة الحرب الباردة كشكل أساسى للصراع الدولى » ، أم إنه من الأوقع والأرجح علميا بأن يسمى هذا العصر بمسميات أخرى ترجحها حقيقة وكثافة التفاعلات الدولية كما يلى :

(أ) ماذا عن عصر «الأصولية الاقتصادية الجديدة» مثلا ؟

أليس من الموضوعية أن نصف النسبة الكبرى من التفاعلات الدولية فى هذا العصر بعد «حقبة الحرب الباردة» بتفاعلات الأصولية الاقتصادية الجديدة الساعية إلى ممارسة كل ما يرسخ من مفاهيم العولمة الاقتصادية التى زادت وستزيد من حدة الفجوة بين أغنياء هذا العالم وفقرائه ؟ .. ماذا عن عصر الشركات المتعددة الجنسية التى أصبحت ميزانيةالواحدة منها أكبر من ميزانية مجموعة من «الدول المهمة» فى هذا الكوكب ، وماذا عن القوانين الدولية التى تجعل سيادة مثل هذه الشركات فوق سيادة الدول ، إن طغيانا جديدا تحت مسمى الأصولية الاقتصادية وله تنوعات عديدة وليس السياق هنا الخوض فيه بالتفصيل ولكن لا شك أن هذا العصر جدير بأن يطلق عليه عصر الجات أو عصر الأصولية الاقتصادية بأشكالها المتعددة والصارخة .

(ب) ماذا عن عصر «الإمبراطورية الأمريكية» .. ؟

أليس كذلك من الأجدر أن نصف هذا العصر بعد انتهاء حقبة الحرب الباردة بعصر «الامبراطورية الأمريكية ...» ؟ لقد أصبحت أمريكا اليوم هى القوة العظمى الأولى فى نظام عالمى أحادى القطبية ، وربما هذا الوضع هو الذى حظى بشبه اجماع عن طبيعة تركيبة النظام العالمى بعد سقوط الاتحاد السوفيتى ونظام الثنائية الطبية الذى كان الحاكم لفهم التفاعلات فى الكرة الأرضية كلها فى فترة الستينيات والسبعينيات . أليس من الموضوعية والعلمية أن ننظر إلى تفاعلات الأمبراطورية الأمريكية كمحدد محورى على أساس من المبادرة بالفعل وليس رد الفعل بحكم ما تملكه هذه الامبراطورية ووضعها فى عالم اليوم وتقديم التحليلات التى تفيد فى ترشيد هذه التفاعلات وتقديم صياغة للتعامل معها على نحو يكون لصالح الجميع بعيداً عن الانحياز وتكريس الظلم والمظالم المولدة للاضطراب فى هذا العالم ؟! إنه عصر الامبراطورية الأمريكية وأسئلته الخاصة المتمثلة فى أسئلة مثل هل ستسلك أمريكا مسلك الامبراطوريات التقليدية التى قوضت من قوتها بنفسها وبسلوك الامتداد الاقصى المبنى على القوة والمنهك تماما فى نهاية المطاف والذى لا يمكن ان يفيد على المدى البعيد لا أمريكا ولا العالم ؟! أم أن هناك امريكا التى يمكنها ان تقود بتدعيم أركان سلام عادل وإدارة مباريات تدعم ما ذكر فى الكثير من الدراسات الأمريكية عن مفهوم «الاستثنائية الأمريكية» وكيف أنها تختلف عن

أى قوة استعمارية امبريالية سابقة . أم أن الاتجاه يسير مع الأسف فى اتجاه «الامبراطورية» التى تعنى الكثير من توظيف أحادية اللغة وأحادية الفعل تفاصيل عديدة ولذلك أحيل القارئ الكريم إلى كتاب «الأمبراطورية الأمريكية» الصادر عن مكتبة الشروق ، والذى صدر منه جزءان وينتظر أن يصدر الجزء الثالث له قريباً ، حيث تم حشد عدد كبير من الخبراء العرب والدوليين لطرح أسئلة تسعى للفهم .. لفهم هذه الامبراطورية .. ولا شك أن هذا العصر يصح أن يوصف بعصر الأمبراطورية الأمريكية وأفعالها وليس كما ذهب هنتيجتون بقوله «عصر حروب المسلمين» ! بهذا القدر الكبير من الاختزال والتعسف .

(جـ) ماذا عن عصر «هندسة النزاعات» وتجارة السلاح أو عصر «حروب المستقبل» ؟!

من الأوصاف الموضوعية لوصف تفاعلات هذا العصر ، ربما أكثر من غيرها ما يرتبط بكل من (أ) ، (ب) أعلاه والمتمثل فى حقيقة أن تجارة السلاح فى هذا العالم وفى هذا العصر تشكل نسبة مخيفة من حركة الاقتصاد العالمى وأن الحروب قد تكون مفتاح التحريك لاقتصاديات بعينها بقدر ما تكون دمارا على الآخرين وتدميراً لإنسانية هذا العالم . ولقد قمت برصد مؤشرات لهندسة النزاعات وتفعيل نظريات الصدام سواء كانت لهنتيجتون أو غيره فى سياق سابق (الأهرام ٢٠٠١/١/١٤) ولعنا نعود هنا إلى كتاب كاسبروينبيرجر وبيتر شوينتزر الذى قدمته مارجريت تاتشر وجاء بعنوان «الحرب المقبل» وصدر عام ١٩٩٦ . والكاتبان يحذران فيه من مخطار تهدد أمريكا ويطالبان بأن يكون الشعب والحكومة فى أمريكا على استعداد للدخول فى عدة حروب مستقبلية ولم يذهبا إلى استخدام مفردات مثل «عصر حروب المسلمين» أو ما شابه ذلك .. ولكنها كانت فى معظمها الغالب منصبه على مصالح استراتيجية أمريكية تحارب فيها أمريكا أهم القوى الدولية ذات الثقافات غير الإسلامية . ولقد حدد الكتاب تواريخ افتراضية لهذه الحروب التى ستدخلها أمريكا وبسيناريوهات تفصيلية حتى لنوع الأسلحة المستخدمة فذكر مايلى :

(١) حرب للتدخل بين كوريا الشمالية والصين . (٢) حرب ضد إيران .

(٣) حرب ضد المكسيك . (٤) حرب ضد روسيا فى عام ٢٠٠٦ .

(٥) حرب ضد اليابان فى ٢٠٠٧ .

والأسئلة الموجهة لمنظرى هذه الحروب كما لمنظرى صدام الحضارات كهنتينجتون هل هذا العصر هو عصر الحروب الأمريكية كما يدل بوضوح على ذلك تنبؤات شخصية لها وزنها كوزير الحربية الأمريكية الأسبق كاسبر واينبرجر ومعه أحد خبراء المستقبليات المعروفين مثل بيتر شويتزر وبمباركة وتقديم من «المرأة الفولاذية»

مارجريت تاتشر ؟! .. وهل هذه الحروب هى على سبيل هندسة وتفعيل النزاعات من أجل تفعيل توجهات للامبراطورية الجديدة كضرورة لها ؟ أم هو شكل من أشكال الأصولية الاقتصادية وترويج السلاح واقتصاد الحروب المدمرة ؟! وهل فقد انسان هذا العصر القدرة على الحوار والتفاوض بدلا من الحروب التى لن تحقق سوى التعاسة وروح الانتقام ؟ وهل لا يزال إنسان هذا القرن لم يتعلم بعد من دروس مآسى الحروب خاصة الحربين العالميتين فى هذا القرن المنصرم ؟! اسئلة ينبغى أن تطرح وتوجه لهنتينجتون وكاسبر وينبرجر وللمجتمع العلمى عبر العالم وللأمين العام للأمم المتحدة ولمراكز ومشاريع استشراف المستقبل ولكل من يعنيه سلام واستقرار هذا العالم أجمع بالحاح .

ماذا عن عصر حملات المعلومات وتكنولوجيا العداء وعولمة الإعلام ؟!

بعد وصول العالم إلى هذه المرحلة المتقدمة من التكنولوجيا المتقدمة وتقنيات البث الإعلامى الذى حول العالم إلى قرية صغيرة وبعد أن رأينا شخصيات رحلت عن الحياة تتحدث فى الأفلام الأمريكية الحديثة عن قضايا معاصرة جاءت بعد وفاتها بسنين طويلة لقد أصبح كل شىء ممكن ترويجه و«إثباته» وإن كان وهمياً من خلال «تكنولوجيا الحقيقة المتصورة» (V. R.) .. وبعد أن أصبحت مقولة شكسبير الشهيرة «وما العالم إلا مسرح صغير» وما العالم إلا شاشة ١٤ بوصة » لقد أصبح إدارة الصراعات وترسيخ القناعات المراد ترسيخها فى الاعلام المتعولم حقيقة ومصيبة فى آن واحد وأصبحت الحقائق تستوجب البحث الدؤوب وقد لاتكتشف طالما ظل إنسان هذا العصر تحت هذا «القصف الفكرى بالصورة والكلام ..» ... وهذا ما اسميته «بالمظلة الإعلامية» التى لا تقل فى اهميتها عن مفهوم «المظلة النووية» حيث تستخدم كل منهما للردع وتحقيق غايات القوة والهيمنة .. اليس هذا العصر جديرا بأن يسمى بعصر حملات المعلومات وتكنولوجيا العداء الجاهزة للنشر الفائق السرعة عبر قنوات إعلامية متعددة وسريعة ومؤثرة .. وأليس عنوان هنتينجتون «عصر حروب المسلمين» ومقاله يدخل فى إطار هذا العصر – عصر تكنولوجيا أو تصنيع الصور والقناعات المدعومة بحشد إعلامى غير مسبوق ليستهلكها ملايين المتلقين لها فى عالم اليوم ؟! لتبتعد الجموع عن الحقيقة !!

ثانياً : ماذا عن احصائيات العنف والإرهاب التى أوردها هنتنجتون فى مقالة ؟! وكيف يمكن رؤية مدى الاختزال والابتسار الذى اتسمت به استنتاجاته ؟!

إن خطورة الطرح المبتسر والمختزل الذى وضعه هنتينجتون سواء فى مقاله هذا أو فى كتبه وأعماله السابقة وفى أعمال أخرى لآخرين من منظرى الصدام ، اتسمت بنفس السمات السلبية وتكمن وتتجسد فى رصد حالة العنف والإرهاب تحت مسمى

«المسلمين» ، وكانت الأدبيات الغربية عادة ومن أجل كلمات أقل تحيزا تقول «الإسلاميين» ذلك المصطلح الغربى أو «الأصوليين» وما حدث من استخدام كلمة المسلمين هو تطور انحيازى جديد .

ولا نسمع أى وصف لأى دين مع جماعات الإرهاب وشخصياته الأخرى بل يقال جماعات الإرهاب والعنف فقط ومن أبلغ ما قيل من تعليقات هنا هو ما ورد على لسان الملاكم العالمى الشهير محمد على كلاى الذى ذهب كمواطن أمريكى إلى موقع مركز التجارة العالمية بعد حادث الإرهاب الذى تعرض له والذى ادانته كل الحكومات والجهات والمواطنين فى العالم العربى الإسلامى فسأله بعض الصحافيين «ما رأيك فيما فعله مسلمون مثلك ؟! » فأجاب «هتلر كان مسيحياً » !! نعم من منا يعرف ملة أودين هتلر فعلا ! لقد ذكر اسمه ملايين المرات ووصف بالنازية والفاشية والإرهاب ولم يوصف بدينه ابداً ومع المجازر غير المسبوقة التى أقدم ويقدم عليها شارون ، فلم يوصف فى الإعلام العربى الإسلامى إلا «بالإرهاب الشارونى» فلماذا عندما تقوم جماعات من المارقين المعروفين بارتباطهم بأجهزة مخابرات أجنبية فى حالات كثيرة أو فى أغلب الحالات وعددهم قليل لا يمثل أغلبية المسلمين لماذا ومن باب العلمية والانصاف لا يجتهد هنتينجتون وباحثون منصفون من العالم فى تقديم رؤية لدروس مستفادة من التاريخ لحساب نسب العنف والإرهاب الخبيثة على مستوى العالم والتعرف على الاسهام الحقيقى لكل طرف خاصة من ناحية أثر الإرهاب والعنف الممارس والبحث فى أسئلة مثل :

ماذا عن تأثير استخدام الولايات المتحدة وغيرها للأسلحة الفتاكة والتجارب النووية على الإنسان والبيئة فى القرن المنصرم بدءا من قنبلتى نجازاكى وهيروشيما إلى الحرب الكيماوية فى فيتنام وما إلى ذلك من مواقع وحروب بما فى ذلك قصف العراق وشعبه بأسلحة محرمة دولياً ؟

عندما ذكر هنتينجتون ما ذكره عن عصر حروب المسلمين فى العالم حتى فيما بينهم وأشار إلى حرب الخليج الأولى التى أفاد بأنها أدت إلى مقتل ١/٢ مليون وجرح مئات الآلاف . ونضيف أنها أدت إلى خسائر مادية كانت تقدر بالبلايين من الدولارات شهريا لكل من إيران والعراق ودول الخليج . ونضيف أنها مدانة تماما وعبثية بل وقذرة ونضيف أنها نتاج الحالة الديكتاتورية المقيتة لقيادة معروفة بذلك ولكن ألم يكن من المجدى علميا وموضوعيا أن يذكر هنتينجتون أى اجابات على أسئلة مهمة ذات علاقة أخرى مثل : **من هذا الطرف الى قامت** مخابراته بدور رائد فى دفع الطرفين لهذه الحرب ؟

وماذا عما عرف بفضيحة «إيران جيت» أو «إيران كونترا» ؟؟ ومن هو اوليفر

نورث ؟ وماذا قال فى التحقيقات الشهيرة التى اثبتت قيام ذلك الطرف ببيع وتوريد السلاح لكل من العراق وإيران ؟ فى مشهد من مشاهد الديمقراطية وعند تبرئه هذا الضابط الذى كان يدير ملف «العراق إيران» كانت التبرئة أنه فعل ما فعل من أجل مصلحة الأمن القومى وكان ذلك «جواب نهائى» لماذا ونحن بصدد حساب نسب العنف والإرهاب فى العالم أن نذكر ما قالته - باربارا ويلسون أستاذه الإعلام بجامعة سانتا باربارا بولاية كاليفورنيا والتى زارت مصر عام ١٩٩٥ وتحدثت عن العنف المستورد فى علب «كرتون» وعن التأثيرات النفسية والاجتماعية المختلفة لبرامج العنف ودورها فى زيادة السلوك العدوانى لدى الأطفال فى الولايات المتحدة وأقول لدى الأطفال فى هذا العالم المتعولم اعلاميا . فالتأثيرات خارج أمريكا أيضا بفعل ما تنتجه هوليود وواقع الحال ، فلقد ذكرت أن عدد أفعال العنف فى كل ساعة مشاهدة - وحتى يبلغ الطفل الخامسة عشرة - تبلغ (٨٠٠) ثمانمائة جريمة وما يزيد على مائة ألف فعل عنيف فى المتوسط . وهي نسبة مرتفعة للغاية ، وغير مسبوقة فى التاريخ ويتعرض لها الطفل الامريكى من خلال القنوات التليفزيونية بل والأطفال فى كل القرية الكونية .

إنـــه حتـــى وإن كرر هنتينجتون وغيره مقولة أن نظام العقيدة الإسلامية لا علاقة له بالعنف والإرهاب ، فإنهم يتبعون ذلك بأساليب كلامية وإعلامية بالغة الوضـــوح فى تجاوزاتها واعتداءتها وتحريضها الواضـح ضد الإسلام والمسلمين فى آن واحد .

ثالثاً : إيجابيات فى مقال هنتينجتون كان من الموضوعية أن تأخذ موقعها فى مركزية الطرح بدلا من تهميشها كأفكارثانوية :

لاشك أن مقال هنتنجتون به جزئيات موضوعية ينبغى التنويه إليها وتطويرها فى مجال التفاعل الإيجابى لصالح الجميع .. فلقد وضع يده على ما ورد بخصوص دوافع وأسباب العنف حينما ندد بممارسة الحكومة الإسرائيلية وبالسياسات الأمريكية تجاه الشرق الأوسط وباءت الحقبة الإستعمارية وإن كان ذلك باقتضاب شديد كما أدان الوجود العسكرى الإسرائيلى ووجود المستوطنات فى الأراضى المحتلة ، كما ندد بممارسات حكومات غير إسلامية فى تعاملها القمعى مع المسلمين من مواطنيها ، كما أشار إلى حاجة الحكومات العربية الإسلامية إلى تطوير الأداء للتعامل مع جذور العنف والإرهاب - ونرى مثلها فى ذلك مثل حكومات العالم كله . فكل الحكومات مطالبة برفع مستوى الاداء تجاه عوامل وجذور هذه المشكلة الإنسانية الخطيرة والحكومات الغربية مثلها فى ذلك مثل الحكومات العربية الإسلامية وكلٌ بطريقته وأسلوبه والكل حمل المسئولية .

فوكوياما من نموذج «نهاية التاريخ» ١٩٩٢ إلى ادعاءات «الفاشية الإسلامية» ٢٠٠٢
من يستهدف من في طرح فوكوياما الأخير ؟!
(نشر مقال فوكوياما ومقال مناظرته بصفحة مناظرة فى جريدة الأهرام فى ٢٠٠١/١٢/٢٩)

فى ١٩٨٩ ألقى فوكوياما استاذ الاقتصاد السياسى حالياً فى جامعة جون هوبكنز محاضرة بمركز جون أولين : بجامعة شيكاغو بعنوان «هل هى نهاية التاريخ؟» ، ونشرت فى صيف نفس العام فى ١٥ صفحة تم تحولت إلى كتاب فى عام ١٩٩٢ بعنوان «نهاية التاريخ والرجل الأخير» (فى ٣٧٩ صفحة) وتقوم الفكرة الأساسية لهذا الكتاب الذى أثار جدلاً ومناقشات موسعة فى الدوائر الأكاديمية عبر العالم حول شرعية الديمقراطية الليبرالية بوصفها نظاماً متميزاً للحكم بعد سقوط الفكر الشمولى والأيديولجيات المختلفة . ولقد أوضح أن المقصود بالفكر الشمولى هو «الفاشية الشيوعية» «وأن الديمقراطية الليبرالية» تشكل نقطة النهاية فى التطور الايديولوجى للإنسانية والصورة النهائية للحكم البشرى ، وبالتالى فهى تمثل نهاية التاريخ » .

وكان من أهم ما خص به «الثقافة الإسلامية» والإسلام مايلى :

« ... بما أن الإسلام الأصولى هو ديانة شمولية تسعى إلى تنظيم كل ناحية من نواحى الحياة الإنسانية ، العامة منها والخاصة ، فليس مستغرباً أن تكون الدولة الديمقراطية الليبرالية الوحيدة فى العالم الإسلامى المعاصر هى تركيا التى كانت الدولة الوحيدة التى أصرت على رفضها الصريح لتراثها الإسلامى» (كتاب نهاية التاريخ ص ٢١٣) .

والمشكلة الواضحة فى طرح فوكوياما مثله فى ذلك مثل هانتينجتون وكلاهما من أهم منظرى السياسة الدولية / الأمريكية ومن ورائهما حشد اعلامى غير مسبوق ، أن أطروحاتهما ومن زوايا بعينها تتسم بالإختزال وبالإطلاقية الإستعلائية التى تقترب من التفعيل السياسى أكثر من البحث العلمى الذى يعنى أكثر باستجلاء جوانب الظاهرة واستهلاك مجالات التصور والتصور المخالف وصولاً للحقيقة مع تكثيف لغة الحذر والحيطة من الطرح الاطلاقى المتحيز والإلحاق المتعسف وهذ ما أوضحناه فى طرح هنتيجتون فى مقاله الأخير فى النيوزيك بعنوان «عصر حروب المسلمين .. » بالعدد السنوى لعام ٢٠٠٢ (الأهرام ٢٠٠١/١٢/٢٢) ، ... وفى مقال فوكوياما بنفس عدد النيوزيك الأخير بعنوان «إنهم يستهدفون العالم المعاصر» أو «هدفهم : العالم المعاصر» نجد نفس سمات التعسف فى الإلحاق والسبب والسببية .. فلقد ظل من طرحه القديم تركيا والنموذج التركى كحل للدول العربية الإسلامية لتخرج من مأزقها الراهن . كما أنه ينتقل من «الفاشية الشيوعية» فى طرحه القديم إلى «الفاشية الإسلامية» التى يتوسع فيها بشكل مبالغ فيه .. مع وجود تعليقات لنا على نقاط متعددة من المهم أن نحاوره فيها إذا كان للمجتمع العلمى فى كل من الولايات المتحدة والعالم العربى أن يشاركا فى إدارة أزمة الحرب الجديدة «الراهنة

والممتدة التى تميزت عن غيرها فى عالم الأزمات السابقة بأنها أزمة فكرية وأزمة فى عملية التواصل عبر الثقافات ... ولابد من تناولها فى هذا الإطار من أجل تصحيح حركة مباراة التحالف الدولى الراهنة ضد الإرهاب بعيداً عن خلط الأوراق وتوسيع دائرة الاستعداء وتوصيف الحلول التى تتسم بمحاولة «احتلال العقل» وبمصادرة حق الغير فى أمور عديدة ومنها طبقاً لطرح فوكوياما حق تبنى نموذج النمو والتنمية المنتمى للثقافة الأم .. وفيما يلى ما سجلناه من ظواهر تفاعلية وملاحظات حول طرح فوكوياما الأخير :

أولاً: تضخيم نطاق الصراع وتوسيع مجال «العدو المستهدف» :

بداية على صعيد إخراج مقال فوكوياما نجد صورة لطفلين فلسطينيين وهما يلقيان بالحجارة على جنود الاحتلال الإسرائيلى تحت عنوان المقال «هدفهم : العالم المعاصر» ثم اتباع ذلك بصورة ضخمة فى الصفحة المقابلة لمشهد تدمير مركز التجارة العالمية ... مرة أخرى ، وكالمثال الذى أوردناه فى تحليلنا لإخراج مقال هنتينجتون (الأهرام ٢٠٠١/١٢/٢٢) يتم توظيف استراتيجية التداعى السلبى (فى الاخراج الصحفى) التى تستحضر كل الأوصاف السلبية لمرتكبى الحادث مثل «الإرهابيين» و«الفاشية الإسلامية» و«الحقد» على المدنية والعالم المعاصر لكى تنطبق فى نهاية المطاف ليس على مرتكبى أحداث سبتمبر فقط من الإرهابيين الذين ينبغى القصاص منهم لما اقترفوه من جرائم انسانية مدانة ؛ بل على الفلسطينيين الذين يعانون أقصى مستويات الإرهاب والمتمثل فى الاحتلال ... وهذا طرح شارونى فاسد ينبغى التصدى له وليس تأكيده فى مجلة كالنيوزويك مفروض أنها ترفع راية تمثيل الاعلام الباحث عن الحقيقة واخبار الرأى العام وتوعيته بالحقائق وليس الساعى لخداعه !!

ثانياً: مقولة فصل «الإرهاب عن الإسلام» ثم دمج «الإرهابيين» و«الراديكاليين» بالمسلمين» في سلة واحدة في نهاية المطاف :

لا يخفق المحلل الموضوعى الذى يقتفى مسار البرهنة فى مقال فوكوياما الأخير فى أن يرصد ظاهرة متكررة بكثافة فى دوائر الإعلام الساعى لتوظيف أدوات تكنولوجيا العداء والاستعداء التى رصدناها فى تحليل مقال هنتينجتون بنفس العدد من النيوزويك بعنوان «عصر حروب المسلمين» ... حيث يفيد الكاتب بأهمية فصل الإرهاب عن الإسلام ... كما أكدت على ذلك القيادة الأمريكية فى مرات عديدة من قبل الرئيس بوش ووزير خارجيته كولن باول وكذلك من قبل تونى بلير .. ثم سرعان ما نجد هذا الكاتب أو ذاك يلتف حول هذه المقولة ويلغيها بأكثر من أسلوب وبأكثر من طريقة وفى حالة فوكوياما هنا نجد تحت ما ذكره من وجهة نظره فيما يتعلق «بالإسلام والحداثة» – وهو طرح مراوغ أنه يستنتج فى نهايته ما يلى :

«وعليه فإن هذه ليست ببساطة «حربا» على الإرهاب ، كما تظهر الحكومة الأمريكية بشكل مفهوم . كما أن الأمر لا يرجع وكما يذهب إلى ذلك الكثير من المسلمين إلى السياسة الخارجية الأمريكية تجاه فلسطين أو العراق . إن الصراع الذى

نواجهه ، لسوء الحظ ، أوسع بكثير من ذلك ، ولا يقتصر على مجرد مجموعة صغيرة من الإرهابيين ، ولكن الأمر يتمثل فى وجود عدد أكبر بكثير من الراديكاليين الإسلاميين ..» ثم يضيف بعد كلمة «الراديكاليين الإسلامين» طائفة من المسلمين يصفها » بالمسلمين ممن تجب هويتهم الدينية وتعلو كل القيم السياسية الأخرى ..» وهو هنا يتجاهل أو يجهل أن الشعوب العربية الإسلامية هى شعوب متدينة بطبيعتها وقيم الدين تجب أى قيم أخرى عندها .. وأن هذه السمة لا تعنى أى حذف أو عدم استقرار بين المسلمين وبعضهم البعض وبين المسلمين وغيرهم كما ذهب إلى ذلك فى مقاله ... بل أن هذه السمة خاصة عند حسن فهمها بعمق تعنى فى الواقع تبنى المقاصد الإسلامية الراقية فى النماء واقامة العدل واعمار الكون وهى السمة التى تقدم بها ومن خلالها المسلمون فى عصر إزدهار الحضارة الإسلامية التى أضاءت ظلام العصور الوسطى فى أوروبا وأخذت بيد الغرب لتأسيس نهضته الحديثة وانتجت العلماء فى مجالات العلم المختلفة وهذا ما يقره كل المنصفين فى الغرب فلقد كان لابد من ظهور ابن الهيثم والبيرونى وابن سينا والخوارزمى والرازى والخافقى والكندى وابن رشد كى يتسنى ظهور لابلاس وفارادى ونيوتن ودالتون واينشتاين ، والنقطة المحورية تكمن فى أهمية وعى المسلمين بحقيقة المقاصد الإسلامية فى الرقى والأخذ بالعلم والمعارف وإفشاء السلام والتعارف والتعاون بين بنى البشر على تنوعهم وإذا كان هناك نموذج اسلامى لابد من انتهاجه مع الأخذ بكل أسباب العلم والمعارف والنظم الحضارية الحديثة التى ازدهرت فى الغرب وشارك فيها جنسيات وثقافات العالم فى تطور انسانى مشترك وبديع فى نهاية الأمر .. فهو يتمثل فى الأخذ بمقومات وأسباب النموذج الذى ازدهرت به الحضارة الإسلامية فى ذروتها مع تحديث المعارف والنظم وما انتجته الحضارة الإنسانية والغربية خاصة من إيجابيات وتقنيات متقدمة لا تبخس أصحابها اشياءهم كما أمرنا الإسلام الحنيف بذلك . بالإضافة إلى تبنى الشورى التى تحتاج إلى سياق تفصيلى للخوض فى علاقتها بمفهوم الديمقراطية ، وكيف أنها صمام الأمان للتعددية الفكرية والبعد عن الاستبداد وصوره واحتكار الحقيقة وأمراض هذا العصر على اتساع العالم كله بنسبة وأخرى . المشكلة إذن تكمن فى عدم الفهم الصحيح عند توصيف فوكوياما للمشكلة وللصراع مع «فئة المسلمين الذين تجب هويتهم الدينية وتعلو كل القيم السياسية الأخرى» على اطلاقها المتعسف .. أو حاجته لتوضيح مقصده بشكل أكثر وضوحا .

كذلك أضاف فوكوياما فئة أخرى ممن يرى أن المشكلة الكبرى معهم حين ذكر «**هؤلاء النفر من المسلمين الذين ضمهم للإرهابين والراديكاليين** فى مسار طرحه وهم طبقاً لمقولته «الإسلاميين والمسلمين من النوع الذى يرفض تصديق أن مسلمين

كانوا متورطين فى الهجمات على مركز التجارة العالمى وينسب تلك الهجمات إلى قيام إسرائيليين بها » . وهم ممن يشكون من سياسة الولايات المتحدة لكنهم يفسرون تلك السياسة على أنها جزء من مؤامرة أكبر على المسلمين وينسون أن السياسة الخارجية الأمريكية قدمت الدعم فى الماضى للمسلمين فى الصومال والبوسنة وكوسوفا والشيشان » .

المشكلة فى طرح فوكوياما هنا أنه لا يرى من خلال هذه المظاهر التفاعلية الشعبية لعوام الناس الذين قد يقدمون رؤى بدون دليل حاسم بخصوصها إلا فى بنيتها السطحية التى قد تكون مستفزة له ولغيره من الأمريكيين ومبررة ولا ينظرون إلى بنيتها العميقة وجذورها المتمثلة فى وجود أجواء ملبدة ومبررة بعدم الثقة خاصة على مدى السنوات القليلة الماضية والتى أصبحت السائدة بفعل سياسات وممارسات أمريكية وإسرائيلية اتسمت بتحدى المشاعر الشعبية وبمعايير مزدوجة صارخة وضحايا من الأبرياء فى مناسبات عالية الكثافة والتردد وليس سياقنا الخوض فيها هنا .

ثالثا: «الفاشية الإسلامية» التي يفهم من طرحه لا حل لها سوى الإبادة والإحتلال!

لا يخفق المحلل الموضوعى لمسار الطرح عند فوكوياما فى أن يرى ذروة التمهيد النصى تتجلى فى طرحه لمفهوم «الفاشية الإسلامية» (ISLAMO - FASCISM) التى صاحبها بعدة مفاهيم مثل «الإسلامية الراديكالية» وطرح ظروف نشأتها التى شابهها بتلك الظروف التى نشئت فيها «الفاشية الأوروبية / النازية فى مستهل القرن العشرين ، ويعود فى خضم كلامه عن هذه الظاهرة ليشير إلى أن هذه الظاهرة ليس لها علاقة بالاسلام كدين أو حضارة ولكنها مرتبطة بعدم التسامح وعداء للحداثة ويسترسل فى تقديم رؤيته بتفاصيل عديدة يشرح فيها ما يعنيه من ممارسات هذه «الفاشية» التى رأى أن رؤيتها ممتدة عبر حكومات عربية إسلامية متعددة ... كما أن يرى أن هذه «بحر يسبح فيه الإرهابيون وأنها المفهوم الذى أصبح يمثل للغرب تحدياً أكثر من التحدى الذى واجهه مع الشيوعية» ..

وأن خطورتها فى أن تتطور الأمور وتقع فى أيدى ممارسيها الأسلحة البيولوجية .. وأن العلاج لجموع ممارس «الفاشية الإسلامية» هو التدمير والإبادة والاحتلال كما حدث للنازية فى المانيا من قبل قوات التحالف فى الحرب العالمية الثانية .

الطرح جد خطير وتسويغ وتفسير طبيعة الصراع وتوسيعه بهذا القدر من التضخيم والتصنيع المبالغ فيه وتقديم حلول الإبادة بالقوة المفرطة أساساً بدلاً من الحوار والتفاوض وترشيد الأمور وسوف يؤدى بلا شك إلى تفاقم للصراعات فى العالم وانفلات إدارة «أزمة الحرب الجديدة» بما لا ينفع الاطراف كلها فى نهاية المطاف .

رابعاً: التدخل فى مناهج التعليم والتعامل معه «الفاشية الغربية» من منظور تفاوضي:

أثار طرح فوكوياما وهو فى معرض الحديث عن ملامح «الفاشية الإسلامية» مسألة ما يراه بل ويراه عدد أخر من الباحثين فى إدارة «أزمة الحرب الجديدة» من أن مناهج التعليم فى العالم العربى الإسلامى هى مناهج مولدة للعنف والتطرف والفاشية والإرهاب ولذلك ينبغى إعادة النظر فيها ... بل والتدخل لتغييرها .. طبقاً لنداءات آخرين على الساحة الأمريكية .

ولقد توقف فوكوياما أمام مقولة رأى أنها معبرة عما يقصده «بالفاشية الإسلامية» فى أحد مناهج التعليم بالثانوى فى دولة عربية وفى كتاب دراسى اجبارى يشرح «انه يجب على المسلمين أن يخلصوا لبعضهم بعضاً (أى أن يكون ولائهم لبعضهم البعض) وأن يعتبروا الكفار أعداءهم » .

ومن المهم التأكيد هذا على أن عملية تطوير وتنقيح المناهج أمر مطلوب وطبيعى فى كل دول العالم وأن هذا الأمر سيادى أساساً ومع ذلك كنت أتصور أن يتوقف فوكوياما أمام مثال يعبر حقاً عما يصفه «بالفاشية » الحقة ... والسؤال هنا ما مشكلة أن يوالى مثلاً «الأمريكيون الأمريكيين» و«الصهيونيون الصهيونيين» و«المريخيون المريخيين» وأن يعتبرون من ثبت أنه يضمر العداء لهم أنه بمثابة عدوهم كنص مغلق فيما بينهم ... فهذا طبيعى ومنطقى وعالمى وإن كنت أرى ومن قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١ بكثير أهمية تحديث المناهج واعادة صياغة الكثير منها ولقد أشرفت على عدة رسائل ماجستير فى هذا الإطار ، والتأكيد على التركيز الأكثر على أساس النص المفتوح الخاص باظهار الصور الحضارية التى تصحح التشوية للقيم الراقية الخاصة بكيفية التعامل مع الآخرين واحقاق حقوقهم ومعاملتهم بعدل وانصاف والبر إليهم ما لم يحاربوا المسلمين فى عقيدتهم كما أقر الإسلام بذلك ...

وعموماً لماذا ونحن بصدد مناقشة ادارة هذه الأزمة بأسلوب علمى وأكثر عدلا أن نقترح إدارة الحوار والتفاوض بخصوص نوعية كل طرف بثقافة الأخر وتصحيح الصور الخاطئة والمشوهة للآخر وازالة أوجه الخلل القائمة فى كل ثقافة عن الثقافة الأخرى ، كأن يتم مثلا تبديد صور التشويه الكثيرة وغير الحقيقية فى مناهج الغرب عن الإسلام والمسلمين والتى أثبتت وجودها فى الإعلام والمناهج التعليمية عدة دراسات موضوعية ومتميزة فى مقابل تصحيح بعض الصور المشوهة وغير الحقيقية عن الغرب فى الواقع العربى ... ولعل من الجدير بالذكر هنا أن أهم الدراسات العلمية التى حللت المناهج الدراسية الغربية وأثبتت وجود صور مما يمكننا تسميته من وحى مفاهيم فوكوياما – «بالفاشية الغربية» "WESTRO FASCISM" التى تمتلئ بها مناهج التعليم فى الغرب من صور كراهية وسلبية وتشويه للإسلام والمسلمين والعرب ... مما أوجد عداء كبيراً وغير مبرر من قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١ بكثير .

ومن المهم أن نلاحظ أن هذه الدراسات قد قام بها نخبة متميزة من الباحثين المسيحيين العرب من أمثال ميخائيل سليمان «عن صور العرب والمسلمين فى المناهج الأمريكية» ودراسات ادورد سعيد مثل «اكتشاف الاسلام» وجاك شاهين عن «الصورة النمطية عن العرب فى الاعلام الأمريكى » ودراسة مارلين نصر عن صور العرب والمسلمين فى المناهج الفرنسية . ولعل من المهم أن يلاحظ فوكوياما وغيره هنا أن قيام هذه النخبة المتميزة من المسيحيين العرب بهذه الدراسات العلمية له دلالاته ومؤشراته الهامة التى تفيد باحساس هذه النخبة بقوة انتمائها إلى الثقافة العربية الإسلامية ومعرفتها بالمعايشة طبيعة التسامح الحقيقية مما دفعهم ليكونوا فى طليعة من يقول للغرب ... «ما هذا التشويه غير المنصف والاجتراء الفظ على من عشنا وتعايشنا معهم كأسرة واحدة» . فهذا هو الاساس والقاعدة بعيداً عن عبث العابثين فى الداخل أو الخارج وهذا من أوجه التسامح والتعايش الموجودة فعلاً لدينا وينبغى علينا أن نزيد من حرصنا عليها وتعميقها وتنميتها بشكل مستمر .

خامساً: عن نموذج نهاية التاريخ، ونماذج النجاح والفشل «والتعاون الثقافى المفتعل»:

أجهد فوكوياما نفسه مشكوراً ليقدم الكثير من المقارنات بين دول صغيرة فى ارجاء المعمورة والدول العربية الإسلامية ليثبت ويؤكد – وهو على حق فى ذلك – فشل الدول العربية الإسلامية ونجاح دول ككوريا الجنوبية والأرجنتين والهند وسنغافورة وتايوان ودول أمريكا اللاتينية ودول صحراء افريقيا إلى آخره كما اسهب فوكوياما كثيراً فى توضيح العلاقة العضوية بين الديمقراطية والعلمانية والمسيحية والجذور الفلسفية الأوروبية وكيف أن الاسلام والثقافة الاسلامية من وجهة نظره لها مشاكلها مع الحداثة والفكرة الديمقراطية والنزوع للاستبداد بشكل أو بآخر وفى كل هذا أراد ومثله مثل غيره من الكثيرين فى الواقع الغربى طرح العلاقة بين التخلف والثقافة (فى العالم العربى الإسلامى) وبين «التقدم والثقافة فى الغرب وهذه مقولة لها أساسها من الدراسات الكثيرة ولا مجال للخوض فيها هنا .. وخلص إلى أن الانتاج الفكرى والعلمى الذى يمكن أن نتباهى به الدول العربية الإسلامية يتمثل فى «تركيا» ذلك النموذج الديمقراطى الوحيد بفضل اصلاحات اتاتورك والمشكلة فى طرح فوكوياما بخصوص تركيا أنها ليست دولة ديمقراطية نموذجية يحتذى بها ... كما أن اصلاحات اتاتورك تمثلت فى قطع أوصال تركيا عن تراثها وعن اللغة العربية تماماً . وتحويل الكثير من المساجد إلى متاحف ومنع حجاج تركيا من الحج إلى أن تغير هذا الوضع مؤخراً ...

وخلاصة ما نؤكد عليه هنا هو أن الدول العربية الإسلامية فى حالة من التقهقر والتخلف الحضارى والضعف والجمود الذى ينبغى أن تخرج من دائرته بقيم العمل والتعددية وعبور فجوة الإدارة وتفعيل طاقات الأمة وينبغى أن نعترف بالتقصير والقصور الذاتى ونشارك فوكوياما بعض مما ذهب إليه دون يأس أو إحباط . ولكن ينبغى

الاشارة هنا إلى أسباب هذا التقهقر الحضارى لا علاقة لها بما يسوقه البعض فى الغرب من إلصاق استبداد الحكام وخضوع المحكومين السلبى بالاسلام وهو ما قد يتركه الانطباع من طرح فوكوياما ككل رغم حرصه وهذا الامر قد تمت الاجابة عنه فى سياقات سابقة يقول سعيد النوروس: «أن أوروبا تظن أن الشريعة الإسلامية هى منبع الاستبداد وسببه وهذا ظن خاطئ» ويضيف « لقد تألمت كثيراً من أعماق قلبى على ظنهم السيء بالشريعة وإن كان الجهل والتعصب المتفشيان فينا هما اللذين عاونا أوروبا على هذا الظن الخاطئ » . ويقول عبد الرحمن الكواكبى فى كتابه الهام «طبائع الاستبداد» الدين الذى ظلمه الجاهلون فهجروا حكمة القرآن ودفنوها فى قبور الهوان ... الدين الذى فقد الانصار والابرار والحكماء .

تظل هناك مجموعة من الأسئلة الهامة لممارسة النقاش الذى فتحه فوكوياما مشكوراً وتتعلق بأسباب عدم تحقيق النجاح المطلوب تحقيقه فى العالم العربى الإسلامى وتتمثل فى طرح مايلى على الغربيين المعنين :

* ماذا عن تأثير حجم الصراعات والحروب التى تعرضت لها الدول العربية والإسلامية من خارجها ؟ وماذا عن حملات وحروب الغرب لنهب ثروات المنطقة منذ الحروب الصليبية التى اعترف بلير مؤخراً بأنها كانت حملات مطامع تخفت وراء الصليب ؟ وماذا عن حروب الصراع العربى الإسرائيلى التى فرضتها إسرائيل والغرب معها وما تأثير كل ذلك على مقدرات التنمية الاقتصادية فى العالم العربى الإسلامى؟ وأين الجهود الأمريكية الأكثر فاعلية فى إطار الحل العادل لهذا الصراع بدلاً من التسبب أو الإسهام سلباً فى تفاقمه ؟

* إن وجود من ١٠٪ إلى ١٥٪ ممن وصفهم فوكوياما بالأصوليين الراديكاليين طبقاً لتصور دانيل بابيس (أى من مائة إلى مائة وخمسين مليون مسلما يشكلون مع الإرهابيين «الفاشية الإسلامية» التى يفهم من مقاله بأنه لا علاج لها سوى بالابادة والاحتلال كما كان الحال مع «الفاشية الاوردية / النازية ؟ أم أن العلاج البديل هو النموذج التركى ؟ الأقرب «لنهاية العرب» لقد كان يبدو لبعض المحللين أن الطرح الأمريكى الفكرى السياسى المؤصل من مراكز الابحاث والجامعات كان فى التسعينات ممثلاً وأساساً فيما طرق كل من هنتينجتون وفوكوياما ومن سار على نفس الاتجاه .. والمتمثل فى «تبنى النموذج الأمريكى كنهاية للتاريخ» (طرح فوكوياما) وإلا فلينتظركم «صدام الحضارات» (هانتيجتون) والتطور الملحوظ فى مقال فوكوياما الأخير ٢٠٠٢ يبدوا وأنه قد جمع بين «الحسنيين» !!

* * *

هوامش ومراجع الجزء الأول

(١) راجع لكاتب السطور على سبيل المثال لا الحصر :

"Conscious & Un conscious Linguistics As A New dimension in Confidence - Building measures: the Case Of The Euro - Arab (Med) Dialogue, Presented To The International Conferenee On (OSCE) Experien ce In The Field of Confidance - Building 26 - 28 Sept, 1995, Organized by The Egyptian Ministry of Foreign Affairs.

لغويات الوعى واللاوعى كبعد جديد فى إجراءات بناء الثقة . حالة الحوار العربى (المتوسطى) الأوربى . بحث مقدم إلى المؤتمر الدولى عن خبرة منظمة الأمن والتعاون الأوروبى لإجراءات بناء الثقة ، والذى نظمته وزارة الخارجية المصرية بالقاهرة هـ من ٢٦ - ٢٨ سبتمبر ١٩٩٥ . ونشر فى دورية الدراسات والبحوث العربية - لجامعة الدول العربية العدد ٢٥ عدد يوليو ١٩٩٦ (بالإنجليزية) .

- «ثقافة التفاوض من المنظور الإسلامى» لدراسة قدمت فى أعمال مؤتمر عطاء الأديان لخدمة الإنسان ... المؤتمر السابع للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية - الاسكندرية يوليو ١٤١٦هـ ،- ١٩٩٥م .

(٢) راجع :

"Alinguistic Analysis of Mechanisms Underlying power In International political Negotiations, Georgetown University, PHD Dissertation 1989.

راجع للباحث المراجع العربية التالية :

* مقدمة فى علم التفاوض الاجتماعى والسياسى - سلسلة عالم المعرفة الكتاب ١٩٠ ، لعام ١٩٩٤ الكويت .
* التفاوض وإدارة المقابلات : أمثلة من تفاعلات السياسيين والإعلاميين مكتبة العبيكان الطبعة الأولى ١٩٩٧ الرياض .
* بحث بعنوان «دبلوماسية المسار الثانى» ، بحث مقدم إلى ندوة الإتجاهات الحديثة فى التدريب الدبلوماسى - تحت رعاية صاحب السمو الملكى الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية ، المعهد الدبلوماسى - وزارة الخارجية السعودية ، الرياض ٢٦-١٤١٧/١٢/٢٧هـ ٣-١٩٨٧/٥/٤م .
* بحث بالإنجليزية لكاتب السطور ، بعنوان «لغويات الوعى واللاوعى «كبعد جديد من أبعاد إجراءات بناء الثقة : حالة الحوار العربى (المتوسطى) الأوروبى . بحث مقدم فى مؤتمر خبرة منظمة الأمن والتعاون الأوروبى فى مجال بناء الثقة - وزارة الخارجية المصرية القاهرة سبتمبر ١٩٩٥م .

(٣) لمزيد من التفاصيل راجع لكاتب السطور : سيناريوهات الحرب والسلام : دبلوماسية المسار الثانى من منظور اللغويات الاجتماعية والسياسية .

(٤) راجع لكاتب السطور بحث بعنوان «إدارة ومنع الأزمات» المؤتمر السنوى الأول لإدارة الأزمات والكوارث - القاهرة ١٢ - ١٣ أكتوبر ١٩٩٦ - كلية التجارة - وحدة بحوث الأزمات القاهرة .

a discourse analysis of scenarios of conflict & cooperation in the globalization era: Toward a New Millennium Diplomacy from a Negotiational Linguistic Perspective.

WFS ninth general Assembly, July 29 - Augl 1999 Washington D. C.

«تحليل لخطاب سيناريوهات الصراع والتعاون فى عصر العولمة : نحو دبلوماسية جددة للألفية من منظور لغويات التفاوض» راجع وقائع المؤتمر التاسع العام لجمعية مستقبل العالم المنعقد فى الفترة من ٢٩ يوليو إلى ١ أغسطس ١٩٩٩ ؛ لواشنطن د. س.

(٥) انظر على سبيل المثال : المقالات التالية لكاتب السطور «المستقبليات السياسية بين الواقعين العلمى والثقافى» .

(٦) «اطلبوا العلم ولو فى الصين » مجلة سطور العدد ٥٤ مايو ٢٠٠١ «البحث العلمى فى العالم الإسلامى من منظور إسلامى ، جريدة جامعة الإمام بن سعود الإسلامية بالرياض «مرآة الجامعة العدد ٢٠٠٠/١١/٣٧٣٦٧ .

(٧) قبل الأزمة انظر للكاتب : مقال بعنوان «التطرف القادم من الخارج» وكيف نواجهه « الأهرام ١٩٩٣/٣/١٩ . (عن فكر المسيحية الصهيونية وربط تفعيله بالصراع العرابى الإسرائيلى نحو فكرة هدم الأقصى وبناء المعبد) وكيف نواجهه : الأهرام ١٩٩٣/٣/١٩ .

راجع كذلك مقال لكاتب السطور بعنوان «دلالات لغة خطاب العدوان الإسرائيلى على لبنان ، الأهرام ١٩٩٣/٨/٧ .

* مقال بعنوان «حقائق السلام وأوهامه ، الأهرام ٢٠٠٠/٨/٣٠ .

* مقال بعنوان «مصر وسيناريوهات إسرائيلية خاطئة» الأهرام ٢٠٠٠/١١/٣١ .

* مقال بعنوان «إعادة الاعتبار لنظرية المؤامرة» الأهرام ٢٠٠٠/٨/١١ .

* دلالات سيناريو «وهمى» لحرب شاملة «الأهرام المسائى ٢٠٠١/١/٧» .

* « فى تحدى شارون » الأهرام ٢٠٠١/٨/٥ .

* راجع مؤلف كاتب السطور بعنوان «سيناريوهات الحرب والسلام دبلوماسية المسار الثانى من منظور اللغويات السياسية دار المعراج الدولية الرياض ١٩٩٩ .

(٨) راجع مقال صمويل هانتينجتون التالية :

"Samuel p. Huntington, Clash of Civilizations, Foreign Affairs, Summer 1993.

راجع لهنتنيجتون الكتاب التالى :

"The Clash of Civilizations: Remaking of World Order. Touchstone. Rockefeller center N. Y.

(٩) راجع كتاب مهم يكشف عن أسلوب نتنياهو الذى يجيد الحديث فى وسائل الإعلام الغربية بشكل يساعده على طرحه مفاهيم عن «الإرهارب الإسلامى» ببراءة من يقع عليهم «العدوان والإرهاب» وهو الأمر الذى بات مفضوحاً لكل محلل مضوعى فى الغرب .. الكاتب « وهو مترجم بالعربية (محمد عودة الدويرى – الأهلية للنشر والتوزيع – الأردن – عمان ١٩٩٦ :

(١٠) راجع لكاتب السطور صفحة مناظرة بالأهرام حيث مقال الكاتب جون مونرو بعنوان «الإسلام ونحن» والرد عليه بمقال عنوان «نحن والغرب» فى ٣ فبراير ٢٠٠١ .

(١١) راجع (٩) .

(١٢) راجع (١٠) .

(١٣) راجع لكاتب السطور مقال بعنوان «مصر وسيناريوهات إسرائيلية خاطئة» الأهرام ٢٠٠٠/١١/٣٠ .

(١٤) لمزيد من التفاصيل عن هذه السيناريوهات وتفنيدها من منظور علمى وعربى إسلامى راجع لكاتب السطور :

* بحث بعنوان «مستقبل الصراع العربى الإسرائيلى» المجلة العربية للدراسات الدولية ، السنة الأولى العدد الأول شتاء ١٩٨٨/٨٧ .

* مقال بعنوان «التطرف القادم من الخارج وكيف نواجهه ١ » الأهرام ١٩٩٣/٣/١٩ .

(١٥) لمزيد من التفاصيل راجع مابلى :

Francis Fukuyama "The End Of History And The Last Man" N. Y: free press, 1993 (217).

(١٦) لمزيد من التفاصيل بخصوص مثل هذه المفاهيم وتفنيدها من منظور عربى إسلامى ، راجع لكاتب السطور مقال بعنوان «الإعلام العربى بين الإمبريالية الإعلامية والتغريب الثقافى ، جريدة البيان ١٩٩٣/٩/٢٥م .

(١٧) راجع بالإنجليزية :

ISLAMIC UMMAH 2025: ARIVIEW OF MODELS APPROACHES & ALTERNATIVE FUTURES..

وهذه السيناريوهات وغيرها متضمنة كذلك فى تقرير المشروع الألفى لجامعة الأمم المتحدة – المجلس الأمريكى لسنة ج ١٩٩٩م .

(١٨) راجع المصدر التالى : الحرب المقبلة :

CASPER WEINBERGER & PETER SCHWEIZER, NEXTWAR, REGNERY PUBLISHING, INC. WASHING TON. D. C. 1996.

وبخصوص الرؤية التنفيذية للحجج التى يستند إليها هذا السيناريو (وهذا الكتاب) راجع للكاتب السطور – المرجع المشار إليه فى (٣) وكذلك مقال بالأهرام بعنوان : (حوار الحضارات وليس صدمها) – صفحة دوائر الحوار بتاريخ ٢٠٠١/١/١٤م .

(١٩) راجع .

LEON THADAR "WHAT GREEN PERIL", FOREIGN AFFAIRS, SPRING 1993.

(٢٠) راجع (١٩) .

(٢١) الإسلام والعالم ، محمد خاتمى ، تقديم محمد سليم العوا ، مكتبة الشروق – القاهرة ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م .

(٢٢) الدين والفكر فى فخ الاستبداد ، محمد خاتمى ، مكتبة الشروق ، القاهرة ١٤١٢ – ٢٠٠١ .

(٢٣) راجع على سبيل المثال لا الحصر :

لمراد هوفمان أحدث مقالاته بعد كتابه الشهير «الإسلام كبديل» بعنوان اسلام صنع فى أمريكا «كتاب الأمبراطورية الأمريكية» الجزء الثانى مكتبة الشروق القاهرة ٢٠٠١ .

وجون اسبزيتو كتابه المهم بعنوان الإسلام والديمقراطية بالإنجليزية :

(Islam amd Democrasy) John Esposita & John o. voll. Oxford university press 1996. N. Y..

(٢٤) رواجع مقال« مستقبل الصراع العربى الإسرائيلى» ، حسن محمد وجيه ، المجلة العربية للدراسات الدولية العدد الأول خريف ١٩٨٨/٨٧ واشنطن د. س .

(٢٥) للقراءة النقدية «لكتابى الأرض والرب والأصولية اليهودية وكتاب الدين ذلك البعد المفتقد فى العلاقات الدولية راجع : الدبلوماسية الجديدة فى مواجعة الاختزال العلمانى والتطرف الصهيونى ، حسن محمد وجيه ، العبيكان الرياض ١٤٢٠هـ – ١٩٩٠م .